الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

تخصص : علم اللهجات

سجل تحت رقم 1/99/88
بتاريخ
07 OCT. 2009

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم اللهجات

تحت عنوان

جهود المستشرقين الفرنسيين في الدراسات اللهجية في الجزائر

المجلة الإفريقية نموذجا

إعداد الطالب :

بوروبة حميد

تحت إشراف الأستاذ :

د. أوشاطر مصطفى

لجنة المناقشة :

أ.د تيجيني بن عيسى	أستاذالتعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
د. أوشاطر مصطفى	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان	مشرفا و مقررا
د. عبد الرحمن خربوش	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د. عبد الحق زريوح	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
مكتبة الكلية

السنة الجامعية : 2007 - 2008

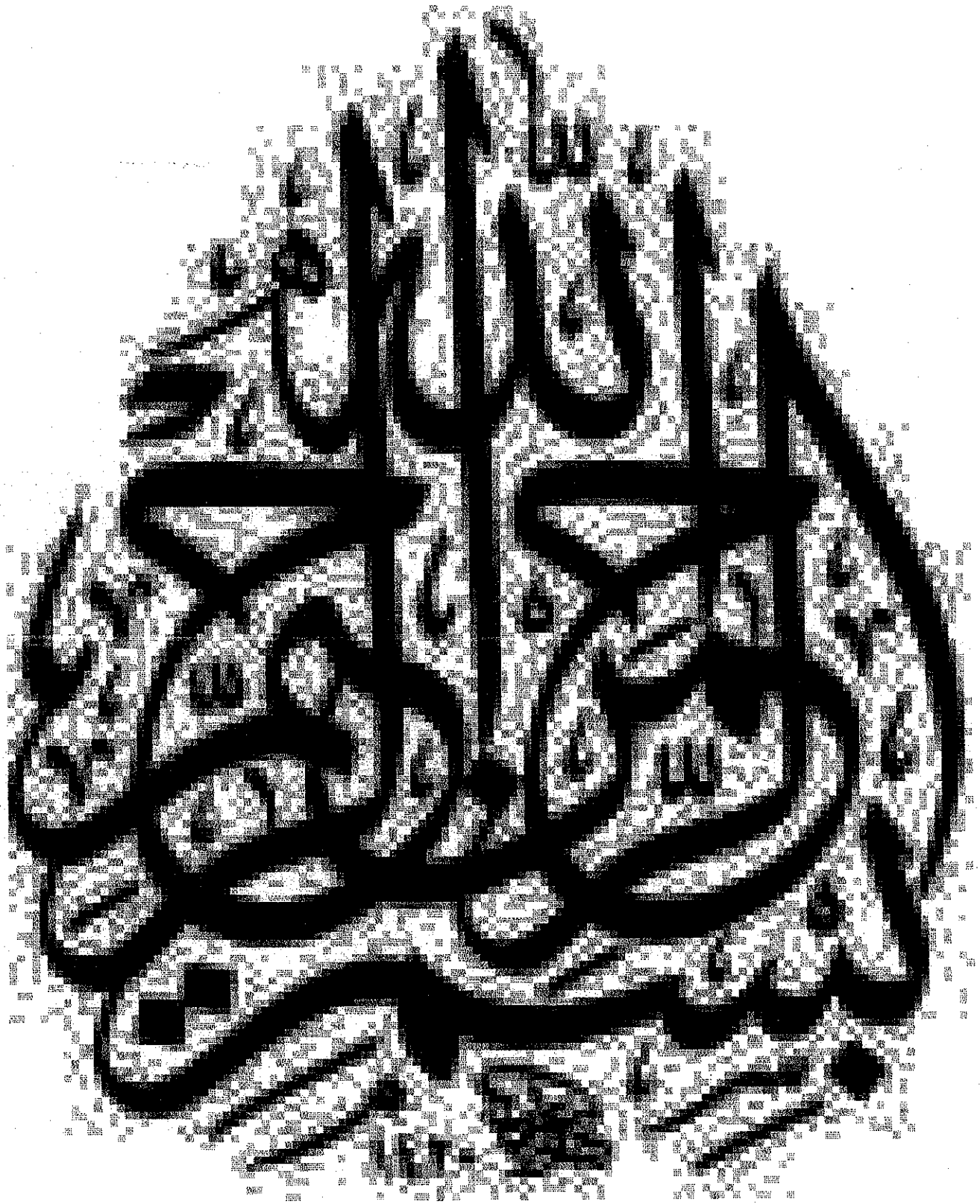

إهداء

أهدي هذا العمل إلى والداي الكريمين

إلى اخواني و أخواتي

إلى كل أساتذتي الذين غرسوا في الطموح و حب المعرفة

إلى الذين ينشدون الخير و الرفعة لهذه الأمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آله و صحبه و من اتبعهم باحسان إلى يوم الدين ، و بعد :

فإن موضوع الرسالة الموسومة : "**بجهود المستشرقين الفرنسيين في الدراسات اللهجية بالجزائر**" (المجلة الإفريقية ...)

فهي دراسة تقوم على ابراز جهود المستشرقين الفرنسيين في الدراسات اللهجية من خلال المجلة الافريقية

إذ أن المجلة الافريقية احتوت على دراسات كبيرة في شتى العلوم و لأهمية هذه المجلة الافريقية قمت باختيار هذا الموضوع و ما دفعني لاختياره هو الرغبة في التعرف إلى البحوث و الكتب التي دأب المستشرقون الفرنسيون على نشرها خاصة من خلال المجلة الافريقية و التي تحوي قيمة علمية و وثائقية لا تنكر .

كما أنني لم أجد من سبقني من الباحثين بافراد الموضوع كرسالة جامعية فيما أعلم فالدراسات السابقة اتجهت بصفة عامة للغوص في الظواهر اللهجية و كذالك تناولت أوجه المقارنة بين اللغة العربية و اللهجات الـــمحلية .

رغبتي في الاسهام في ابراز هاته الدراسات التي قام بها المستشرقون الفرنسيون من خلال المجلة الافريقية كون أغلب تلك الدراسات اتسمت بالعموم فهي لم تتناول جانبا من الجوانب الثقافية أو ظواهر اللهجية بدون ابراز الجوانب المتعلقة بالحياة الاجتماعية و الاقتصادية و اتخذت بعدا مناطقيا جغرافيا .

حرصي على ضمه للثقافة العربية إذ قمت بترجمة بعض الدراسات اللهجية التي قام بها المستشرقون الفرنسيون و أبرزها كخطوة استباقية بغية حض الطلبة و الباحثين على الاهتمام بهاته الدراسات الموجودة في ثنايا المجلة الافريقية .

أما المنهج الذي سرت عليه بصفة عامة في هاته الدراسة فقد حاولت قدر استطاعتي ابراز المنهج الوصفي التحليلي .حيث قسمت الموضوع إلى ثلاثة فصول :

- ففي الفصل الأول تناولت بالحديث عن الاستشراق مفهومه، منشأه و أهدافه

- أما الفصل الثاني فخصصته للحديث عن جهود المستشرقين الفرنسيين و أعلامه و أبرز كتاباتهم و اسهاماتهم من خلال المجلة الافريقية .

- أما الفصل الثالث فقد تناولت فيه نماذج من الدراسات اللهجية و قمت بترجمة هاته النصوص و ابرازها لتكون موضع اهتمام الباحثين مستقبلا .

الصعوبات التي واجهتها في البحث :

إن كل عمل يقوم به الانسان لا بد أن يواجه فيه شيئا من الصعوبات و أن يجد فيه بعض العقبات من أمر لآخر تبعا لطبيعة الموضوع و أهميته و كون موضوعي من مواضيع الاستشراق و جهود المستشرقين الفرنسيين في الدراسات اللهجية .فقد واجهتني صعوبات كثيرة منها غياب الكتب التي تتعلق ببحثي في هذا المجال خاصة أن موضوع رسالتي هو الأول الذي سعى في البحث في هذا المجال من الدراسات الاستشراقية

ثـــانيا : الترجمة و مع أني أتقن اللغة الفرنسية فقد أدركت من خلال ترجمة النصوص الفرنسية إلى اللغة العربية أن نقل نص معين من لغة أخرى ليس مهمة يسيرة و كان هذا الأمر يحتاج مني إلى التأني و الدقة في النقل حتى تكون الترجمة صورة صادقة و موافقة لفكر المستشرقين .

سعة الموضوع و كثرة مسائله، الاستشراق الفرنسي مجاله و الغوص في جهود المستشرقين يقتضي مناقشة آرائهم و أطروحاتهم و نقدها فالمجلة الافريقية تستحق من الباحثين الكثير من الدراسات و الإهتمام لأنها جديرة بذلك

عدم امتلاكي النظرة التخصصية إلى حركة الاستشراق و هذا ما جعلني أستنفذ جل وقتي في مخالطة بعض الأساتذة الذين سررت كثيرا بآرائهم و ملاحظاتهم .

و كذلك قراءاتي للدكتور اسماعيل اعمايرة الذي اعتبره أحد الذين تفردوا في دراسة الظاهرة الاستشراقية تلك كانت أهم الصعوبات التي واجهتها في كتابة هذا البحث

و بهذا الجهد المتواضع لا أدعي أني قد وفيت الموضوع حقه و استكملته من جميع جوانبه و لكن حسبي أن لم أدخر في سبيل ذلك وسعا . و إني لأرجو أن اسهم بهذا البحث في ابراز جهود المستشرقين الفرنسيين في الدراسات اللهجية بالجزائر من خلال المجلة الافريقية فان أصبت من الله و ان أخطأت فمني و من الشيطان لأن الانسان ضعيف لا يسلم من الخطأ إلا من عصمه الله بتوفيقه، و إني لأرجو كذلك من الله تعالى أن يجعل هذه المساهمة المتواضعة فاتحة خير لأمثال هذه الدراسات و الله تعالى هو الموفق و الهادي إلى سواء السبيل ، و إنه نعم المولى و نعم النصير .

و أخيرا :

فبعد حمد الله سبحانه و تعالى على توفيقه لاكمال هذا البحث، أرى أن الواجب يدعوني إلى الاعراب عن شكري الجزيل و تقديري العميق لكل ما كانت لديه المساعدة من حيث التوجيه و النصح سائلا المولى عز و جل أن يجزيهم عني خير الجزاء و أن يوفقنا و إياهم إلى ما يحبه و يرضاه . و أخص بالشكر معالي الدكتور مصطفى أوشاطر الذي كان مشرفا على الرسالة و قد منحني الكثير من وقته و جهده و توجيهاته في ساعات الاشراف فكان نعم الاستاذ فجزاه الله عني خير الجزاء و أجزل الأجر و الثواب ، كما أتوجه بالشكر الخالص إلى أصحاب الفضيلة الدكتور عبد الحق زريوح الذي وجهني إلى هذا الموضوع إذ سعدت بتدريسه لي مادة اللغة العربية في سنوات التدرج فكان نعم الأستاذ الذي لا يتوانا في تقديم النصح و التوجيه .

و جميع أساتذة القسم الذين شرفت بالتتلمذ على أيديهم : الأستاذ الدكتور تيجيني بن عيسى الأستاذ الدكتور محمد سعيدي، الدكتور شعيب مغنونيف الأستاذة حران رحمة

كما لا يفوتني أن أقدم خالص شكري إلى كل الإخوة الكرام ممن كان له الفضل في المساعدة ماديا و معنويا.

و أرجو الله تعالى أن يكلأ الجميع بعين رعايته و جميل عنايته و أن يتولى جزاءهم عني بما هم أهله، إنه سميع مجيب و صلى الله على نبينا و رسولنا محمد و على آله و صحبه وسلم .

الفصل الأول

الاستشراق

تمهيد :

كثرت الدراسات الاستشراقية في القرن الماضي، فظهر الكثير من المفكرين العرب والمسلمين ودراسات وكتابات متعددة ومختلفة، ولكن أكثرها دراسات فردية بحتة لم يجمع الذي فيها في مؤتمر علمي منظم لتعرف مصائب الآراء وأثر الاستشراق ونفعه وضرره[1] وظل مفهوم الاستشراق غير واضح للعالم لديهم. فمنهم من ينظر إليه نظرة إعجاب تصل أحيانا إلى الانبهار، ومنهم من يرفض كل من يأتي عن هذا المفهوم حتى ولو اصطبغ بصبغة علمية، والآخر في تأمله لم ينبهر ولم يرفض، ونضع نتاج هذا المفهوم لأحكام علمية خالصة، وليس هناك تحديد واضح لمفهوم الاستشراق بحيث يمكن معه إطلاق هذا المصطلح على ظاهرة بعينها، وليس هناك تحديد واضح ودقيق لنشأة الاستشراق؛ بحيث يستطيع الباحث أو المطلع في هذا المجال أن يحدد تاريخا بعينه، ولم تكن لمفهوم الاستشراق دوافع واضحة متميزة، فجاءت الدوافع في الأدبيات العربية متداخلة بعضها مع البعض. كما أنه لم يكن هناك خلط أحيانا بين الدوافع والأهداف[2]

وسنعمد إلى تحديد بعض هذه المفاهيم والمصطلحات التي نستعملها، لأن كثيرا من الالتباس المؤدي إلى الإتلاف ناتج عن اختلاف في دلالات المصطلح. وأن المسألة لا تتخصص في حدود فقه اللغة بل تتجاوزها إلى أبعاد سياسية وثقافية وإديولوجية[3]

---

[1] وسف عز الدين : الاستشراق و بواعثه و ما له و ما عليه ،مقال منشور في مجلة المشكاة المغربية العدد1998/29. ص 14

[2] علي النملة : الاستشراق في الأدبيات العربية.مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الاسلامية الرياض 1993 م

[3] د.أحمد طالب الابراهيمي: حوارالحضارات مقال منشور في كتاب العربي "الاسلام و الغرب ص 115 يوليو 2002 م

- فـــمـــا الـــمقصود إذن بالاستشـــراق والـــمستشرقين ؟

الاستـــــشـــراق :

1/ تعريفه :

التعريف اللغوي: لو أرجعنا هذه الكلمة إلى أصلها لوجدناها مأخوذة من كلمة إشراق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب النور والهداية والضياء، والاشراق من الشرق حيثص نزلت الديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والاسلام، ولما كان الدين الاسلامي هو الغالب أصبح معنى الاستشراق البحث عن معرفة الاسلام والمسلمين وبلاد المسلمين عقيدة وشريعة وتاريخا ومجتمعا وتراثا ... إلخ.

التعريف عند الغربيين: هو أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمن على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الاوربية المختلفة، لكن الأمر المتيقن ان البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الاسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير، ولعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق، فهذا أربري Arberry في بحث له في هذا الموضوع يقول: والمدلول الاصلي لمصطلح "مستشرق" كان في سنة 1638 أصل أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية وفي سنة 1691 وصف أنتوني وود Antony Wood صمويل كلارك Samuel Klark بأنه "استشراقي نابه" يعني ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية ويبرون عن المستر ثورنتون ..... الكثيرة والدالة على استشراق عميق [1]

ويرى رودي بارت أن الاستشراق هو (علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق مشتقة من كلمة "شرق" وكلمة شرق تعني شروق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي).[2]

---

[1] إج آربري: المستشرقون البريطانيون تعريب محمد الدسوقي لندن: وليم كوليتر 1946 ص 8

[2] ودي باريت:الدراسات العربية و الاسلامية في الجامعات الألمانية ، ترجمة مصطفى ماهر

ويعتمد العالم الانجليزي أربري تعريف قاموس إكسفورد الذي يعرف المستشرق بأنه من يبحث في لغات الشرق وآدابه[1]

ومن الغربيين الذي تناولوا ظهور الاستشراق وتعريفه المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون Maxime Radinson الذي أشار إلى أن مصطلح الاستشراق ظهر في اللغة الفرنسية عام 1799 بينا

ظهر في اللغة الانجليزية عام 1838. وأن الاستشراق إنما ظهر للحاجة إلى إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة للدراسة الشرقية، ويضيف بأن الحاجة كانت ماسة لوجود متخصصين للقيام على إنشاء المجلات والجمعيات والأقسام العلمية[2]

ولو انتقلنا إلى العرب والمسلمين الذين تناولوا هذا المصطلح نجد أن لإيدوارد عدة تعريفات للاستشراق منها أنه "أسلوب في التفكير مبني على تميز متعلق بوجود المعرفة بين الشرق معظم الوقت وبين الغرب[3]. كما يضيف بأن الاستشراق مجرد موضوع سياسي أو ..... ينعكس سلبيا باختلاف الثقافات والدراسات والمؤسسات وليس تكريسا لمجموعة كبيرة من النصوص حول المستشرق. إنه بالتالي توزيع للوعي الجغرافي إلى نصوص جمالية وعلمية واقتصادية واجتماعية وفي فقه اللغة، وفي موضع آخر يعرف ايدوارد سعيد الاستشراق بأنه المجال المعرفي أو العلم الذي يتوصل به إلى الشرق بصورة منظمة كموضوع للتعلم والاكتشاف والتطبيق، ويقول في موضع آخر أن الاستشراق نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق[4]

لقد اختار الدكتور أحمد عبد الحميد غراب هذا التعريف "دراسات أكاديمية" يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص بلا سلام وتسليم، من شتى الجوانب عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخا ونظما وتراثا وإمكانات. بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي

---

[1] إج آربري: المستشرقون البريطانيون تعريب محمد الدسوقي لندن: وليم كوليز 1946 ص 8

[2] مكسم رودنسون: الصورة الغربية و الدراسة الغربية الاسلامية في تراث الاسلام سلسلة عالم المعرفة 1998 ص 27

[3] Edward Said :orientalism new york

[4] فاروق عمر الاستشراق و التاريخ الاسلامي القرون الاسلامية الأولى ص 30 الآلية للنشر عمان . الأردن

العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي عل الشرق الاسلامي[1]،ولابد من الوقوف عند تعريف آخر للاستشراق، لا يرى أن كلمة استشراق ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي وإنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية بعكس الغروب بمعنى .... والانتهاء، وقد رجع أحد الباحثين وهو السيد محمد الشاهد إلى المعاجم اللغوية الأوربية (الألمانية-الفرنسية- الانجليزية) ليبحث في كلمة شرق Orient وجد أنه يشار على منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية بكلمة، وتتميز بطابع معنوي وهو

Thorgenland وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصبآح تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على قول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة، وفي مقابل ذلك نستخدم في اللغة كلمة Abendland وتعني بلاد المساء ولتدل على الظلام والراحة[2]

وفي اللاتينية تعني كلمة Orient يتعلم أو يبحث عن شيء ما، وبالفرنسية تعني وجه أو أرشد أو هدى، وبالانجليزية Orientation-Orientale تعني توجيه ... نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي، ومن ذلك، إن السنة الأولى في بعض الجامعات تسمى السنة الاعدادية Orientation وفي الألمانية تعني كلمة Sich Orientation يجمع المعلومات (معرفة) عن شيء ما[3]

2/ إلغاء مصطلح الاستشراق :

يجب أن نتوقف عند القرار الغربي بالتوقف عند استخدام مصطلح استشراق أو كما قال لويس:إن هذا المصطلح قد ألقي به في مزابل التاريخ، فقد رأى الغرب أن ها المصطلح لم يعد يفي بوصف بوصف الباحثين المتخصصين في العالم، فكان من قرارات منظمة المؤتمرات العالمية الذي عقد في باريس عام 1973، بأن يتم الاستغناء عن هذا المصطلح، وأن يطلق على هذه المنظمة (المؤتمرات

[1] أحمد عبد الحميد غراب : رؤى اسلامية للاستشراق ط2 / بيد منجهام : المنتدى الاسلامي ص 7

[2] السيد محمد الشاهد: الاستشراق و منهجية النقد عند المسلمين المعاصرين في الاجتهاد عدد 1994/22 ص 191- 211

[3] المرجع نفس ص 197

العالمية للدراسات الانسانية حول آسيا وشمال إفريقيا (ISHSANA).[1]وعقدت المنظمة مؤتمرين تحت هذا العنوان إلى أن تم تغييره مرة ثانية إلى (المؤتمرات العالمية للدراسات الأسيوية وشمال) .

وعقدت المنظمة مؤتمرين تحت هذا العنوان إلى أن تم تغييره مرة ثانية إلى (المؤتمرات العالمية للدراسات الأسيوية والشمال إفريقية ICANAS). وقد عارض هذا القرار دول الكتلة الشرقية[2]. ومع ذلك ففي المؤتمر الدولي الخامس والثلاثين للدراسات الأسيوية وشمال إفريقية الذي إنعقد في بودابست بالماجر، كان مصطلح المستشرق والمستشرقين يستخدم دون أي تحفظات مما يعني أن الأوربيين الغربيين والامركيين هم الأكثر اعتراضا على هذا

المصطلح ولعل هذا ... . عن المستشرقين ليثبتوا أنهم غير ذلك بل هم مستعربون Arabists أو إسلاميون Islamists و باحثون بالعلوم الإنسانية Humanists أو متخصصون في الدراسات الاقليمية أو الاقتصادية التي تختص ببلد معين أو منطقة جغرافية معينة.

3/ نشـــأة الاستشـــراق:

اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق في تحديد سنة معينة أو فترة معينة لنشأة الاستشراق، فيرى البعض أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام وأول لقاء بين الرسول صلى الله عليه وسلم ونصارى ضجرات، أو قبل ذلك عندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة، أو حتى في اللقاء الذي تم بين المسلمين والنجاشي في الحبشة، بينما هناك رأي بأن غزوة مأتة التي كانت أول احتكاك عسكري تعد من البدايات بالاستشراق ويرى آخرون أن أول اهتمام بالاسلام والرد عليه بدأ مع يوحنا الدمشقي وكتابه الذي حاول فيه أن يوضح للنصارى كيف يجادلون المسلمين. يرى آخرون أن الحروب الصليبية هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى، الأمر الذي دفع النصارى على محاولة التعرف على المسلمين.

ومن الآراء في بداية الاستشراق أنه بدأ بقرار من مجتمع فيينا الكنيسي الذي دعا إلى إنشاء كراسي دراسة اللغات العربية والعبرية والريانية في عدد من المدن الاوربية مثل باريس وأكسفورد

[1] Bernard Luis : The question of orientalism in New York times review of june 24.1982 books p 49-56

[2] نفس المرجع ص 60

وغيرهما. ويرى الباحث الانجليزي ب.ام هولت P.M. Holt أن القرارات الرسمية لا يتم تنفيذها بالطريقة التي أرادها صاحب القرار لذلك فإن القرار البابوي هنا لا يعد البداية الحقيقية للاستشراق[1]. وثمة رأي له عدد من المؤيدين أن احتكاك النصارى بالمسلمين في .... ليس هو الانطلاقة الحقيقية لمعرفة النصارى بالمسلمين والاهتمام بالعلوم الاسلامية، ويميل إلى هذا الرأي بعض رواد البحث في الاستشراق من المسلمين ومنهم الدكتور مصطفى السباعي[2]

ولا شك أن هذه البدايات لا تعد البداية الحقيقة للاستشراق الذي أصبح ينتج ألوف الكتب سنويا ومئات الدوريات ويعقد المؤتمرات، وإنما تعد هذه جميعا كما يقول الدكتور النملة" من قبيل الارصاص لها وما أتى بعدها يعد من قبيل تعميق الفكرة، والتوسع فيها وشد الانتباه لها[3]، فالبداية الحقيقية للاستشراق الذي يوجد في العالم الغربي اليوم ولا سيما بعد أن بنت أوربا نهضتها الصناعية والعلمية وأصبح فيها العديد من الجامعات ومراكز البحوث وأنفقت ولا توال سبغاء على هذه البحوث قد انطلقت منذ القرن السادس حيث بدأت الطباعة العربية فيه بنشاط فتحركت الدوائر العلمية وأخذت تصدر كتابا بعد الآخر ...[4]".

ثم ازداد النشاط الاستشراقي بعد تأسيس كرسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية مثل كرسي أكسفورد عام 1638 وكامبريدج عام 1632.

ويضيف سمايلوفيتش بأن تأسيس الجمعيات العلمية مثل الجامعة الأسيوية البنغالية والجمعية الاستشراقية الأمريكية والجمعية الملكية الأسيوية البريطانية وغيرها بمثرلة. "للانطلاقة الكبرى للاستشراق حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والادارية والمالية فأسهمت جميعها إسهاما فعالا في البحث والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته، فضلا عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية"[5]

---

[1] Hom : the origin of islam studies p 20.27 ,1952 kulliya.khartoum

[2] علي .....: الاستشراق في الأدبيات العربية: الرياض الملك فيصل للبحوث و الدراسات الاسلامية ص 31.23 . 1993

[3] المرجع نفسه ص 30

[4] أ.دسمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر (القاهرة بدون ناشر و بدون تاريخ)

[5] المرجع نفسه ص 81

وكان من المشروعات الاستشراقية المهمة انشاد مدرسة اللغات الشرقية الحية في فرنسا برئاسة المستشرق الفرنسي سلفدس ديساي Selvestre desay التي كانت تعد قبلة المستشرقين الأوربيين وساهمت في صبغ الاستشراقية بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن[1]، بإنشاء الجمعية الاستشراقية وأيضا بداية منظمة المؤتمرات العالمية للمستشرقين عام 1873 في عقد مؤتمراته السنوية.

4/ وسائل الاستشراق:

لقد سعى المستشرقون إلى تحقيق أهدافهم من خلال العد من الوسائل والاساليب، حيث أن المستشرقين جزء من مجتمعاتهم فإنهم سوى يستخدمون بلا شك الوسائل والأساليب الشائعة في مجتمعاتهم وإن كان مجال عملهم وتناسب أهدافهم ودوافعهم، وقد كتبت الدكتورة فاطمة أبو النجا عن وسائل المستشرقين تقول: "لم يترك المستشرقون مجالا من مجالات الأنشطة المعرفية والتوجيهية العليا غلا تخصصوا فيها، ومنها

التعليم الجامعي، وإنشاء المؤسسات العالمية التوجيهية، التعليم والتثقيف، وعقد المؤتمرات والندوات ولقاءات التحاور، وإصدار المجلات ونشر المقالات جمع المخطوطات العربية، والتحقيق والنشر وتأليف الكتب، والدراسة الفكرية بصورة خفية ومتدرجة.وإنشاء الموسوعات العلمية والاسلامية، والعناية العظمى لإفساد ... المسلمة وتزيين الكتابة باللغة العامية"[2]

5/ الاستشراق:

ليس الاستشراق تاريخا فقط ولا هو جغرافية، أو إنسانا أو ثقافة، بل هو هذا الكل فهو مكان وزمان والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطا عضويا ومتكاملا مع هذه العناصر الأربعة الأساسية إذ لابد له من مسافة زمنية وساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري، وللحديث عن الاستشراق فمن أولى البداية بالحديث عن عناصر تكوينه الرئيسية المكونة له، والحديث عن هذه العناصر هو الحديث على الاستشراق وأول هذه العناصر :[3]

[1] نجيب العقيقي . المستشرقون.ج إ القاهرة : دار العارف 140

[2]. فاطمة أبو النجا: الاسلام و أباطيل خصومه . ص 160

[3] الطيب بن ابراهيم : الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاص في الجزائر ص 12 دار المنافع 2004

• **الشـــرق:** لقد وجد الشرق كمكان قبل وجود الاستشراق والمستشرقين بآلاف السنين، إن لم نقل بملايين السنين، ودخل هذا الشرق من بابه الواسع قبل دخول الغرب إليه وكان منبع أول الحضارات الإنسانية منذ فجر التاريخ، خاصة في بلاد ما بين النهرين ومصر، كما كان موضع مهبط الديانات السماوية؛ الاسلام والمسيحية واليهودية.فالموقع الذي اهتم الغرب بدراسته والمخصص في ثقافته وتراثه هو الموقع الجغرافي الواقع في شرق البحر الأبيض المتوسط على الخصوص، وعموما هو المنطقة الواقعة ما بين أصداف الصين شرقا إلى موريتانيا غربا ومن العراق وتركيا شمالا إلى إندونيسيا جنوبا[1]. إنه شروق جغرافي يقع في الجهة الشرقية مواجها ومقابلا للغرب المتمثل في أوربا.

لكن التحديد الجغرافي للشرق هنا فيما يخص الإشراق ليس مخافيا ولا دقيقا، إذ جردناه من مادته التي تميزه، ويختص بها. وهي المقصود بالشرقة هنا، هو الشروق الإسلامي قبل الشروق الجغرافي، بكل تراثه وموروثه وتنوعه، فأصبح ما هو جغرافي يلحق بما هو إسلامي وليس العكس، بمعنى أن الموقع الجغرافي غير الشرقي إذا كان سكانه مسلمون بالحق ... الجغرافي ويصبح سكانه شرقيين، فالشرقة والإشراق تجاوزا حدود الشرقة الجغرافية ليضم لها غرب الجزيرة العربية ومصر وشمال إفريقيا والأندلس، ويصبح هذا الشرق شرقا إسلاميا شكل الإسلام خريطة أكثر مما حددها الجغرافية.

وإذا قسمنا العالم لشرق وغرب لما وجدنا الأندلس وشمال إفريقيا يقعان في الشرق، بل يقعان في الغرب المقابل تماما لأوربا في الجهة الجنوبية، فبريطانيا التي تقع على خط غرينتش وهي في أقصى غرب أوربا، نجد بلدانا إسلامية تقع معها تماما على نفس الخط كالجزائر لكنها لا تحسب على الغرب بل تحسب على الشرق، بل نجد موريطانيا التي تحسب على الشرق هي في موقعها الجغرافي أكثر عربية من كل دول غرب أوربا، إذ تمتد حدودها الغربية إلى خط 17° غرب خط غرينتش. بينم جل بلدان أوربا الغربية تقع إلى شرق خط غرينتش، إذا فالموقع الجغرافي لا يتحكم في تحديد شرق الاستشراق، بل الإسلام كهوية وثقافة هو الذي ألحق هذه البلدان الواقعة في الغرب الجغرافي بالشرق الاستشراقي.

[1] سعيد الأعظمي و آخرون : الاسلام و المستشرقون .ص 125 و 126

ومن يختص بدراسة تاريخ وحضارات هذا الشرق من غير المسلمين يعد مستشرقا وإن كان شرقي الديار.

فعلينا أن نفرق بين الشرق الجغرافي الطبيعي كروسيا والصين واليابان وبين الشرق والاستشراقي الإسلامي، فهذا ... يجمع بين موقعه الجغرافي الشرقي وبين الديانة الإسلامية ويضاف لهذا الشرق ويلحق به ما هو غير شرقي في الموقع الجغرافي، لكن إسلامي المعتقد والثقافة والحضارة والانتماء، وهنا يتمحور الشرق بالدرجة الأولى حول الإسلام، فالأندلس شمال غرب إفريقيا يهجان جزءا من دائرة الشرق، والعامل الرئيسي في ذلك هو يتهم الإسلامية. والشرقي الروسي والياباني والغربي الفرنسي والبريطاني إذ لم يكونوا مسلمين، فهم جميعا مستشرقين والعامل المشترك بين هؤلاء الشرقيين والأوربيين هو عدم إسلاميتهم كما تجد تحديدنا للشرق وللمستشرقين يرتبط بالانتماء للإسلام أكثر مما يرتبط للانتماء الجغرافي، فإذا اسلم الغربي الأوربي أو الأمريكي تسقط عليه هذه المستشرقة ويصبح شرقيا بالانتماء الديني والانتماء الجغرافي ويتغلب الشرقي الديني على الشرقي الجغرافي.

إذ الشرق المكان والشرق الهوية هما اللذان شكلا الشرق الكبير، ودراسة هذا الشرق هي التي ألحقت صفة المستشرقين بدارسيه من الأوربيين، فنرى في نظر الشرقيين من أبنائه يختلف عن شرق المستشرقين، فالشرقي رى نفسه أنه لا يتجزأ من الشرق، فهو من ...وذراته ولحظات تاريخه، فينظر إليه نظرة عادية لا تشوبها الغرابة والاستنكار، نظرة عادية وطبيعية جدا، أما الشرقي فنظرته للشرق تختلف. إنها نظرة الآخر نظرة استغراب إلى ما هو غريب، نظرة إلى الخصم المنافس، المجهول، المكتشف، النظرة التي بناها الخوف والخيال والتطور والرغبة الجامعة في تحر صورته، تلبية لموروثه الثقافي ولمستقبل مصالحه، فهي نظرة استغراب عادية ومريبة، وصب تعبير رودستون لايرن: "المستشرقون في الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته"، شرق غلب على بناته المستشرقين " الكره الغريزي الهائل" للشرق والمسلمين والإسلام.

كره يقتفي صوره في مسار الخطأ العام للاستشراق وفي الصورة القائمة التي رسمت للشرق في الأذهان وفي الثقافة الغربية، إنها الصورة التي عبر عنها المستشرق نولد له بقوله أن خلاصة عمله هي "رسم المنزلة الوضعية" للشعوب الشرقية.

والشرق ينسب علم الاستشراق فالشرق الهوية هو أولا وأخيرا محور الاستشراق، وهو مصدر العناية والاهتمام إنه محور الجذب المعني بالدراسة والاكتشاف للمعرفة والإحاطة به وتفكيك رموزه وحل ألغازه وكم المساحة وسبر أعذاره، والعمل من أجل التعامل معه وترويضه وقيادته والتحكم فيه، فكانت دراسته دراسة شاملة ودقيقة أفقية وعمودية لتغطية. ومعرفته تاريخيا وجغرافيا وتضاريسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ودينيا ونفسيا وليس الاكتفاء بذلك بل نشرحه تشريحا يهدف إلى: "معرفة بالرق تضع الشرقي في قاعة التدريس"..[1]

فالغاية هي معرفة الشرقي وليس الشرقي- الأرض فقط- معرفة من يتربع على كرسي الشرق ويعمره، معرفة الشرق الهوية والتاريخ وليس الشرق الجغرافية فقط فالشرق الجغرافية ثابت لا يتغير بره ولا بحره، لكن الشرق الهوية والتاريخ تغيرت وتنوعت حضاراته وديانات ولغاته وثقافاته، وشعوبه وأبنائه، هذا الشرق المتغير والمتنوع والتتعدد هو الذي يجب أن يعرف معرفة شاملة ودقيقة، وتعرف رغباته وأهواؤه، وطرق تفكيره وما هي طموحاته ومخططاته ونقاط قوته وضعفه عبر ماضيه، وحاضره ومستقبله وهو... به، وعلى أساس هذه المعرفة المرغوب فيها والتي هي ضالة الغرب التي يبحث عنها، تم وضع معالم شرق اشراقي في ظروف تاريخية معينة من وجهة غربية وبأعين الغرب.

وفي أحايين كثيرة نجد الخلط أو المزج بين الاسلام ولا فرق بينهما، هذا فيما يخص الاستشراق، والحقيقة ن هوية الشرق هي الاسلام منذ ظهوره. لقد مثل العرب والإسلام الشرق خلال ألف سنة في نظ الغربيين عامة والمستشرقين خاصة.

وكان الاسلام مرتبطا ارتباطا كليا بالشرق وهو صانع الأحداث. فأصبح يشكل الخصم المقرع للغرب، إنه التحدي الشرقي لأوربا الذي لم نجد له صلا سياسيا ولا فكريا، وهو الجار الغريب من

[1] ادوارد سعيد : الاستشراق ص 71

المسيحية ... جغرافيا وسياسيا ودينيا.ولم يكن يغيب عن ذهن الأوروبيين أن الإسلام قد فاق روما اتساعا وكان يمثل استفزازا حقيقيا لأوربا.فالشرق المعرف للغربيين كما يراه ادوارد سعيد، هو منتوج الثقافة العربية عن طريق الاستشراق. أنتجته سياسيا واجتماعيا وسكريا وعقائديا وعلميا وتخيليا. وأنه لا ستطيع أي شخص كان أن يتناول أي موضوع عن الشرق من أي جهة كان دون أن يأخذ بعين الاعتبار الحدود المعوقة التي فرضها الاستشراق على الفكر والعقل[1].

فعلا قد أوجد الاستشراق وأنشأ شرقا محددا بحدود مفروضة على العقل والفعل، قد يصعب اختراقها والتخلص منها، وأوجدما يسمى بشرق الاستشراق ولا يعني هنا أننا قسمنا الاستشراق إلى جهات غرب وشمال وجنوب، وهو تقسيم جغرافي لا ينطبق على الاستشراق، كما يستثني من ذلك شرق المستشرقين، الشرق المكاني الحقيقي الذي اهتم به المستشرقوذن ونسبوا له واتجهوا لمعرفته ودراسته لكن الشرق المقصود هنا هو الشرق الذي أراده الفكر الاستشراقي وأنشأه وأبدعه خياله، والشرق الذي تصوره الغرب وحدد معالمه والشخصية الاجتماعية والثقافية، فهو شرف نظراء أكثر منه شرق واقعي حقيقي، عرف عن طريق التصور والتخيل والدراسة النظرية، وهكذا أوجد المستشرقون ما لم يكن موجودا على حساب الشرق الحقيقي الموجود، فعيبت حقيقة هذا الأخير وطغى عليها الشرق الإنشائي، شرق الاستشراق الذي بناه الفكر الاستشراقي ونسج خيوطه خيال المستشرقين، خاصة الفرنسيين منهم، والذين كانوا خلقا لهذا الشرق بدل

النظر للشرق الحقيقي، وعلى الخصوص مجددي الاستشراق الفرنسي المتأخرين أمثال رينان ودي ساسي اللذان كانا أكثر وعيا ... لكونهما يخلقان ما يكتبان"[2]

6/ المستشرقون:

المستشرقون جمع مستشرق، وهو كل كاتب أو عالم غربي غير مسلم يكتب عن الشرق وذاته، وعن الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية، فإذا كان الكاتب مسلما غربيا أو شرقيا فلا يعد

[1] المرجع نفسه ص 39

[2] ادوارد سعيد : الاستشراق ص 205

مستشرقا، ثم أصبح لفظ مستشرق يطلق على المستشرقين الذين ممن لم يعتنقوا الاسلام، و لم ينطقوا بالعربية لغة إلا أنهم بحثوا في تراث الشرق لغة وآدابا وإن كانوا شرقيين جغرافيا فمنهم مصطلح مستشرقين، وأصبح الشرق الروسي والشرق الياباني مستشرقين، وذهب أخرون إلى أبعد من ذلك، وأطلق وصف مستشرق ليس على الشرقي الروسي والياباني، بل على الشرقي العربي الروسي والعراقي والمصري ... إلخ. وعلى كل من كتب على الشرق متأثرا بالمستشرقين، حتى وإن كان من أبناء الشرق من العرب غير المسلمين، كما فعل محمد البهي لالحاقه لفليب حتى اللبناني وعزيز عطية المصري ومجيد خوري العراقي، ألحقهم بالمستشرقين[1]. وكذلك فعل عبد الرحمن بدوي في كتابه"موسوعة المستشرقين" إذ ألحق فيها بعض الشارقة العربالمستشرقين و كذلك مصطفى السباعي وكتابه الاستشراق والمستشرقون.

خلاصة ذلك، إن كان الشرق بالنسبة للاستشراق ليس هو فقط الموقع الجغرافي، بل هو الهوية العربية والاسلامية، فالمشرق هو كل غريب لا ينتمي لهذه الهويات، الشرف، العروبة، الاسلام، الثقافةويمثل ذلك حتى من هو شرقي لا ينتمي إلا للشرق الهوية والجغرافية، وهي الأضعف دون الانتماء للهوية العربية والاسلامية، وهي الهوية اللغوية والدينية كما كان حال الشرقي الروسي أو الياباني مثلا، لكن من ينتمي للشرق دارا أو للعربية لسانا. فهو يمتلك هويتين وإن كان غير مسلم، فهو ليس بمستشرق، فيكفيه كونه شرقيا وعربيا بغض النظر عن دينه وفكره وثقافته ودرجة تاثره بالاستشراق، فإذا كان المسلم الفرنسي أو الانجليزي بعد اسلامه لا يعد مستشرقا، فلم الشرقي العربي غير المسلم يكون مستشرقا؟ وإذا كان المستشرقون هم الذين تعاملوا مع الشرق علميا وثقافيا فإن المعاملة الثقافية مع الشرق قديمة وليست بحديثة، وإنما الحديث فيما هو الاصطلاح اللغوي والقاموسي للفظ الاستشراق ومستشرق ومدلولها، فأول ما ظهر مفهوم مستشرق Orientatist.

[1] محمد البهي: الفكر الاسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي ص 554- 555

ومن بين الغربيين الذين كتبوا عن المستشرقين في القرن العشرين المستشرق الانجليزي أربري، كتب كتيبا بعنوان "الدراسات العربية في أوربا لسنة 1955" شمل الكتاب على سبع وثمانين مستشرقا. ومن ذلك التاريخ توالت وتعددت الكتابات والدراسات حول المستشرقين والاستشراق.

إن الحديث عن المستشرقين وحصرعددهم ليس بالأمر الهين، وتقييم أعمالهم جملة واحدة ليس بالأمر

الدقيق، فهم يختلفون باختلاف مستوياتهم العلمية والتقييمية وحتى المستشرقون المنتمون لفترة أمنية واحدة، أو لرقعة جغرافية واحدة أو المنتمون لحقل معرفي واحد يختلفون فيما بينهم من مستشرق لآخر فهناك المستشرق الحايد نسبيا وهناك المستشرق الوسطي وهناك المستشرق المتطرف الحاقد، والمستشرقون يختلفون ويتفاوتون كذلك حسب طبيعة مواضيع دراساتهم وأبحاثهم العلمية ونوعيتها، فالمستشرق الذي يتناول بالدراسة والبحث مواضيع العقيدة أو الشريعة أو الجهاد في الاسلام مثلا، يختلف موضوعه وموضوع دراسته عن الذي تناول موضوع اللغة العربية أو الفن المعماري أو المسكوكات الاسلامية أو اللهجات العربية، فالأول تناول موضوعا لا يؤمن به، بل يتخذه خصما له، بينما الثاني الذي درس الفن المعماري أو المسكوكات الاسلامية لا يمكنه انكار حقيقة وجودهما، ويتواصل هذا الاختلاف والتفاوت بين المستشرقين حتى قد نجده عند المستشرق الواحد، فنجد عمله يتفاوت في موضوعيته ونوعيته من مادة بحثية لأخرى، فيصيب حينا ويجانب الصواب أحيانا أخرى.

وخلاصة القول ومع كل هذا، فما يجمع بين المستشرقين عامة أكثر مما يختلفون حوله، فنظرتنا للمستشرقين وتقييم أعمالهم، بالضرورة تختلف باختلاف أولية نظرتنا لهم، فإذا كان اختلافنا قد يكون حول تقييم عمل أي مستشرق، فكيف لا يكون اختلافنا في تقييم المستشرقين عامة بمختلف عصورهم وبلدانهم مجالات دراساتهم ومناهجهم وأمزجتهم ومواقفهم الشخصية والسياسية ومستوياتهم العلمية.

إن المستشرقين الأوربيين كان مستواهم العلمي والمعرفي والتقني، ومناهج بحثهم، كان كل ذلك متماشيا ومتوازيا مع مستوى شعوبهم ودورهم الحضاري بعد نهضتهم عكس الشرقيين، فكانوا

أقوى من غيرهم وكانوا أرقى بحثا وأكفا وظيفة وأدق دراسة وأشمل معرفة بمواضيع دراستهم، فوصلوا إلى نتائج معتبرة تشهد لهم بالجد والاجتهاد وطول النفس والمتابعة، ودقة البحث والتنقيب وكثرة التنقل والترحال، بدون كلل و ملل للوصول إلى النتائج المرجوة، فكانت هذه هي صفات صفوتهم التي تمثلهم وتقودهم والتي أصبحت نجوما ساطعة تتكلم باسمهم وزيادة على الإمكانيات والكفاءات الذاتية التي كان يتمتع بها عمالقة المستشرقين، إلى جانب ذلك كانت دولهم من ورائهم، وقد وضعت بين أيديهم وسخرت لهم كل الإمكانيات والوسائل العلمية والتقنية والمؤسساتية، والثقافية والإعلامية في أوطانهم، وفي مستعمرات بلدانهم وفي مراكز السفارات والقنصليات التابعة لحكوماتهم، وفتحت أمامهم أبواب المكتبات، الأرشيفات الموحدة على غيرهم، بما فيها كتب ومخطوطات نادرة، كل هذا كان خدمة لهم ولمصالح حكوماتهم، ونتيجة هذه الجهود الجبارة والإمكانيات الفخمة التي توفرت لدى علماء أكفاء، ومفكرين كبار أدت إلى ظهور عدة من عمالقة الاستشراق، ليس على المستوى الأوربي فحسب، بل على المستوى العالمي وظهرت بعض الأعمال التي كانت بمثابة اكتشاف جديد.

إنه من الإنصاف علينا أن تعترف للمستشرقين وصفوتهم الخاصة بتلك الجهود الجبارة التي قاموا بها، رغم التفاوت فيما بينهم في مجال البحث والتنقيب والتضييف والتحقيق والتأليف والترجمة والفهرسة ... إلخ.

إن الثقافة العربية والإسلامية مدينة لبعض أعمال المستشرقين ولما بذلوه من جهة، ووقت وطاقات ولما سخروه لذلك من إمكانيات ليصلوا إلى ما وصلوا إليه. لقد نفذوا التراب على تراثنا واكتشفوا مئات المخطوطات في زوايا وأركان العالم الاسلامي الأوربي. فتم الاهتمام بها وجمعها وطبعها، فقدموا عشرات الأعمال الجليلة التي تخدم التراث والثقافة العربية الاسلامية بشكل أو بآخر، والتي يعكس بعضها عبقرية ومكانة أصحابها وما كانوا يعتملون به من جد وقدرة تحمل.

ومن بين بعض أعمال المستشرقين على سبيل المثال ما قدم لنا في تحقيق كتاب الإصابة في معرفة الصحابة لابن بحر العسقلاني، يقول صاحب مقدمة هذا الكتاب، الدكتور بشر بحر (Sprenger) إن فيه:

ثمانية آلاف من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفين بأسمائهم وأنسابهم وأحوال حياتهم وبما حفظ عنهم من شعر أو نثر.[1]

وكان المستشرق "بوستل" يتباهى بأنه يعبر آسيا إلى الصين دون مترجم لما كان يحيط به لغات شرقية، وكان المستشرق بيتتر يحسن إحدى وخمسين لغة ولهجة، وضف كتاب قواعد لثلاثة عشر لغة شرقية والمستشرق "فرموند" أتقن ثلاثين لغة، وكان المستشرق "دوزي" إلى جانب تطلعه في اللغات السامية يكتب اللاتينية والفرنسية والاسبانية والانجليزية والألمانية والسويدية[2]. لقد حاولوا أن يعيدوا للشرق غايته الضائعة والجبارة كما أعاد "شامبوليون" بناء الهيروغليفية المصرية من .....

وعموما فالمستشرقون لديهم جد عجيب ونادر في البحث والدرس وإحاطة تامة بالعديد من اللغات القديمة والحديثة، ومنهج علمي دقيق، وإلى هذا الحد لا يسعنا إلا أن نعترف للمستشرقين بإنجازاتهم وتقدم لما يستحق منهم جميل الشكر والعرفان على جهوده ودراسته.

ومن جهة أخرى، أعترف أنه لا ينقض الحقيقة شيئا إذ اعترفنا ما لأولئك القوم من أمجاد ثقافي ونتائج علمية، وما حققوه من بحوث ودراسات موسوعية، وفي نفس الوقت نحاول أن نعرف أن نكتشف الوجه الآخر للمستشرقين، وان نعرف نواياهم الحقيقية وما قاموا به من أعمال ومواقف باسم الاستشراق، تتناق مع مهامهم العلمية، والأخلاقية، من هنا يبدأ الكشف عن الوجه الآخر للمستشرقين بعد وأن سبق وأن تعرفنا على وجههم المعلن، والتي عددنا مزاياه التي يعرفها عنهم الخاص والعام، والتي كانوا هم أنفسهم وحكوماتهم ووسائل إعلامهم يعملون على إظهارها بل كان عملهم هو الذي يعمل على إظهار نفسه، وإثبات ذاته.

وهنا علينا أن نفرق وأن لا نخلط بين كفاءة ومكانة المستشرق العلمية والفكرية وبين ولائه وخدمته لمصالح أمته ودولته وشعبه وكيف يتم توظيف واستغلال هذه المكانة والكفاءة لأغراض أخرى، فنحن

[1] سعيد الأعظمي و آخرون : الاسلام و المستشرقون .ص 131

[2] نجيب العقيقي : المستشرقون في الجزء الثالث ص 599

لا نطرح في المقام الأول كفاءة أو عدم كفاءة المستشرقين العلمية، وقدراتهم الذهنية ومهاراتهم العملية، ولكن نشيد بها، ولكن

المطروح بالدرجة الأولى هو ولاؤهم وخدمتهم لمشاريع دولهم وحكوماتهم السياسية والعسكرية والثقافية والاستعمارية والبشرية، توظيف تلك القدرات والكفاءات والمهارات الذهنية والعلمية ضد الشعوب المقهورة والمستعمرة.

إنه بقدر ما نحرص على إنصاف هؤلاء القوم من العلماء والكتاب والمفكرين والمثقفين فيما قاموا به من خدمة للعلم والمعرفة والثقافة العربية والإسلامية.والتي هي جزء من الثقافة الإنسانية، بقدر ما نحرص على ذلك لا يقل حرصنا كذلك على إظهار الوجه الآخر للمستشرقين وإسقاط القناع عليهم، الوجه الذي لم يكونوا يرغبون في إظهاره، وليس من مصلحتهم ومصلحة سياسات حكوماتهم إظهاره وكشف حقيقته، بل عملوا على إخفائه وطمس آثاره وراء الوجه الأول المعلن، إنه من العدل والإنصاف الموضوعي أن نذكر إلا أحد الوجهين دون آخر.وهو إما الدور الإيجابي والإعجاب به والإقبال عليه، أو الدور السلبي ورفضه والهجوم عليه فلا يضر الحقيقة من شيء إذ ذكرنا ما هو إيجابي وما هو سلبي. كل في موضعه بعيدا عن التعصب والتعميم الذي لا يقبل الجمع بين النقيضين إما رفض مطلق أو قبول مطلق.

لقد كان للمستشرقين دوافع وأهداف وأغراض تختلف من مستشرق لآخر كما تختلف من عصر لآخر ومن دولة لأخرى. وكان تفاوت هذه الأهداف والأغراض يمتد من أسماها وهو الهدف العلمي والمعرفي إلى أدناها وهو خدمة الاستعمار وأجهزة استخباراته، وخدمة التعصب الديني والعرقي والحضاري، ومهاجمة الشرق والحط من ثقافته وقيمته وسكانه وحضارته.

إن ما اكتسبه المستشرقون من الشرق هو المعرفة الواسعة به والمعرفة بالنسبة لهم هي سلاح، والسلاح قوة، والذي لا يملك سلاحا لا يملك قوة، والمزيد من المعرفة يعني المزيد من القوة والسلاح لذا اعتنى المستشرقون بسلاحنا سابقا، فأزالوا عنه الصدأ والغبار وجعلوه قاطعا وفعالا بعد أن أصبنا نحن بالشلل وعدم القدرة على الإمساك به و التصرف فيه.وأصبح سلاحنا الذي أصبح حربا علينا ! هذه

المعرفة وهذا السلاح عن الشرق الذي أصبح بحوزه المستشرقين، هو الذي جعل بعضهم يزهو به علينا، ويعلن ذلك أن المفتاح السحري محل أبواب الشرق الموحدة وبهذه المعرفة يمكن التحكم في الشرق والتصرف في شؤونه، وهذا ما اعلنه الوزير البريطاني بالفور في كثر من مناسبة، وعبر عنه غيره من المستشرقين أيضا.

يقول بلفور بأنه: "**يعرف الشرف أفضل مـــما عرفه إنسان آخر**".

ويعلن بالفور صراحة أن احتلال مصر من طرف بريطانيا تم بسلاح المعرفة لها لا بالقوة العسكرية أو الاقتصادية بالدرجة الأولى، فالمعرفة كانت بمثابة سلاح لهم يستلحون به لأهداف محددة. وليس طلبا للعلم والمعرفة من أجل المعرفة، أما كرومر الخبير الاستشراقي الانجليزي الذي قضى خمسا وعشرين في مصر وحدها، يرى ان معرفة الشرق وحكمه رهينة بمعرفة العروق المحكومة، فالمعرفة تمنح القوة ومزيد من القوة يتطلب المزيد من المعرفة[1].

فإذا نظرنا إلى المستشرقين وإلى وظائفهم نراهم من الناحية الشكلية والنظرية رجال علم وفكر وثقافة وكتابة وتأليف وتدريس. ولكن من جهة عملية وميدانية نجدهم متأمرين ومتورطين سياسيا وعسكريا وتبشيريا ..... كخبراء ومستشارين وقناصلة وسفراء وضباط ومبشرين. لقد كانوا أصحاب غايات بقدر ما كانوا رجال علم وفكر وثقافة، وحتى من كانوا ذلك سخروا علمهم وفكرهم وثقافتهم لما تكلم عنهم بالفور وكرومر. قد استفاد المستشرقون نفسهم من الاستشراق، فريتان قام بعمل جبار يخل به نفسه من اجل رفعة مترلته هو في استشراق مرحلته التاريخية[2].

فالمستشرق هو الذي يعيش حياة إمتيازات في الشرق إنها حياة ممثل أوربا الذي تحتوي امبراطوريته الفرنسية أو البريطانية الشرق بين ذراعيها العسكريين والاقتصاديين والثقافيين. يقول نجيب العقيقي: "ولما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاغتراف من تراثه والانتفاع من تراثه والتراجم على استعماره أحسنت كل دولة إلى مستشرقيها فضمهم ملوكها إلى حاشياتهم

[1] ادوارد سعيد: الاستشراق ص 64

[2] المرجع نفسه ص 173

أمناء أسرار وتراجمة وانتدبوهم للعمل في سلك الجيش الدبلوماسية إلى بلدان الشرق، وولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة والمكتبات العامة. والمطابع العامة وأجزلوا عطاءهم في الحل والترحال، ومنحوهم ألقاب الشرق وعضوية المجامع العلمية"[1]

إن الشرق كان يمثل رجل حل الأزمات في الشرق، إنه خبير الشرق في كل شاردة وواردة، وكل ما ظهر تحديا شرقيا أمام الغرب مثل موجات التحرر عقب نهاية الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من ثورات وحركات إلا كان يستفاد من نصائح وإرشادات وتوجيهات خبراء الشرق.

إن علمية المستشرقين ومكانتهم الثقافية ومقامهم الرفيع لا يبرر تعاونهم وتواطؤهم مع أجهزة بلدانهم ومؤسساتهم الاستعمارية والبشرية والثقافية على حساب الشرق، وتعوبه المغلوبة على أمرها، إن نقد مواقف من يفترض فيهم أنهم علماء أجلاء ومفكرين ونزهاء ومثقفين من الطراز الأول، لم ينتقدهم فقط أبناء الشرق عامة ولا المسلمون خاصة، بل انتقدوا حتى من طرف أبناء بلدهم، أبناء غربهم الذين أخذتهم الغيرة على الأمانة العلمية والنزاهة الفكرية والمسؤولية الأخلاقية وخاصة بعد تحالفهم مع الاستعمار وتلطيخ أيديهم وسمعتهم به، مما دفع المستشرق المعاصر "اشنيغان فيلد" على القول: "والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يحسبون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لابد

أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة"[2]

لقد أصبح كل من أتقن لغة شرقية يعد فارسا غربيا وبطلا روحيا يحول عليه في .... شرقية ((يعيد لأوربا حسا بالرسالة المقدمة التي فقدتها)).[3]

فالمستشرق في نظر نفسه بطلا ينقذ الشرق من مطاوي الإيهام والاغتراب والغرابة، التي كان هو ذاته قد تميزها تميزا سليما، وقد أعادت أبحاثه وجهوده لغات الشرق وعاداته الضائعة.

وللتمييز بين المستشرقين ذهب البعض إلى تقسيمهم إلى خمس مجموعات متفاوتة فيما بينها وهي:

---

[1] نجيب العقيقي . المستشرقون الجزء الثالث 604

[2] سعيد الأعظمي و آخرون : الاسلام و المستشرقون ص 92

[3] أنور /// : الاستشراق ، القاهرة ، دار الاعتصام 1983

1) مجموعة تمثل طلاب الأساطير والغرائب والأهاجي، و لم تكن هذه المجموعة فئة علم فانقرضت بانقراض العصور التي ظهرت فيها وهي المراحل الأولى للاستشراق.

2) فئة من المرتزقة الذين وضعوا أقلامهم في خدمة مصالح بلدانهم الاقتصادية والسياسية والاستعمارية.

مجموعة من المتغطرسين الذين أعمتهم الضلالة عن الموضوعية العلمية والنزاهة الفكرية وكان موقفهم هو الخطأ من الإسلام والتقليل من شأنه وشأن إتباعه.

3) مجموعة تعرضت للإسلام دون قصد الطعن فيه والمساس برموزه.

4) فئة أنصفت للإسلام والتزمت بالموضوعية، ومنهم من ذهب به إخلاصه للحقيقة لدرجة اعتناق الإسلام

واتخاذه عقيدة دينية له مثل: بوركمارت- كرنكوق- دينيه- فلوري- ليوبولد فايس- جرمانوس.[1]

إننا نلاحظ هذا التقسيم يصنف المجموعات الأولى الأربع، كلها تعمل لغير صالح الشرق خصوصا والإسلام خصوصا، والفئة الخامسة هي المنصفة، فهؤلاء عددهم قليل جدا وهم الذين أنصفوا الإسلام وذكروا له مواقفه الإنسانية ومكانته الحضارية وعددوا مزاياه و لم يعملوا على إخفاء الحقائق ولا تزويرها، فهم لم يزيدوا على

ذكر الحقيقة والتوقف عندها، وهذا مطلب كل طالب علم ومعرفة، وكل منصف وهو عكس الأغلبية الساحقة من المستشرقين، التي كان فكرها يتقاطر حقدا على الإسلام وتاريخه وشعوبه ورموزه وثقافته وعدم الموضوعية التي تجعلهم يركزون على الأحداث الشاذة والغريبة وعلى الجوانب الهامشية، إذ يقلصون الإسلام لكي يفهم على أنه "النيمة والقنيلة" أما تأثير الاستعمار وظروف الحياة اليومية التي يعانيها الشرقيون، والتطور التاريخي فهذا بالنسبة للمستشرقين كالذباب بالنسبة لصبية عابثين[2]

[1] ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية . القاهرة ، مركز دراسات العالم الاسلامي 1997

[2] عبد العظيم الديب : المستشرقون و التراث ، البحرين مكتبة ابن تيمة 1986

إن المستشرقين قدموا الكثير والكثير للاستشراق، فأثروه وأغنوه، ولكنهم في الوقت نفسه لم يقدموا شيئا للشرقيين، و لم يغنوهم شيئا عما كانوا فيه، فهم قدموا الكثير للاستشراق وليس للشريين. لقد حولوا الشرق إلى مكتبة وأرشيف من المعلومات المكدسة التي يلجأ لها السياسيون والعسكريون والمفكرون وعلماء النفس في وقت الحاجة، نعم قدموا الكثير للاستشراق.والاستشراق أيضا قدم الكثير لهم، ولدولهم ولحكوماتهم ولدوائرهم الاستعمارية، فماذا استفاد الشرقيون الذين كانوا يعانون من المجاعة والأمراض والأوبئة والأمية والفقر والتشرد والقهر، وهم في أمس الحاجة للقمة يسدون بها الرمق في الجزائر أو مصر مثلا، ماذا استفادت هذه الشعوب البائسة من كتابات المستشرقين الأكاديمية والمجلداتية، والفقة اللغوية الدقيقة التي كانت تستعصي حتى على مثقفيهم، ماذا إستفاد الشرقيون منها بالمقارنة مع الاستفادة التي ذكرها كرومر وبالفور بالنسبة للغرب ؟ ! إنها لم تكن في نظر البعض من الشرقيين إلا تحصيل حاصل، وكلام وأحكام أسقطت على تراثهم الديني هو في كل الأحوال يبقى مجرد تراث لا أكثر، وينسب للماضي لا للحاضر ولا للمستقبل. بل يذهب

بعض من المستشرقين أنفسهم إلى أبعد من ذلك ويقر بأن جهده وعمله الذي قدمه للشرق طول حياته يتلخص في "المنزلة الوضيعة" للشعوب الشرقية[1]، هذا ما اعلنه المستشرق نولكد سنة 1887م.

الاستشـــراق:

إن كلمة الاستشراق تطلق عرفا على حركة ثقافية عرفتها أوربا خاصة في القرن الثاني عشر للميلاد، القرن السادس للهجرة، لكن لهذه الحركة جذورها الممتدة في الماضي إلى أبعد من ذلك، ولفظ الاستشراق غير قديم قدم الشرق، إذ ظهر حديثا مع بداية القرن التاسع عشر للميلاد، وهو مصطلح عربي يعود للترجمة الانجليزية لكلمة Orientation التي ظهرت في بريطانيا عام 1811م وللمصطلح الفرنسي Orientatisme الذي عرفته فرنسا عام 1830م ، قبل أن يدرج رسميا في قاموس الاكاديمية الفرنسية سنة 1838م، ثم بعد ذلك انتشر هذا المصطلح بين بقية اللغات الأوربية الاخرى. وبتزامن مع ظهور وتداول مفهوم الاستشراق، تأسست أول مجلة استشراقية متخصصة في

[1] عبد المتعالي محمد الحايري ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، دراسات في تاريخ الاستشراق القاهرة مكتبة مهبة .1995

أوربا هي مجلة " ينابيع الشرق " التي أسسها جوزيف فون هامر، والتي صدرت في فيينا سنة 1809م، ثم تلا ذلك ظهور الجمعيات الاستشراقية، وكانت أول جمعية ظهرت هي الجمعية الأسيوية الفرنسية بباريس سنة 1822م، ثم الجمعية الملكية الأسيوية في بريطانيا وإيرلندا سنة 1823م والجمعية الشرقية الأمريكية سنة 1842م، ثم الجمعية الشرقية الألمانية سنة 1845م،

فالاستشراق هو كل ما يفكر فيه وما يقال عن الشرق، وهو ميدان من ميادين الدراسة قائم على وحدة جغرافية وثقافية ودينية ولغوية وعرقية اسمها الشرق، وهو دراسة الغربيين للشرق ولتراثه ولما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وعاداته وتقاليده، فالاستشراق هو أهم إنتاج ثقافي تاريخي مشترك بين الغرب والشرق. الغرب الأوربي المسيحي، والشرق العربي الإسلامي، تارك فيه الغرب بعلمائه ومفكريه وكتابه وفنانيه وشعرائه بمختلف تخصصاتهم العلمية والوظيفية، وأدواته العلمية ومناهجه البحثية ومؤسساته الثقافية والسياسية، وشارك في الشرق بمادته العلمية المدروسة الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية والحضارية، وكان ناتج ذلك التزاوج بين الغرب والشرق، هو ما يطلق عليه "الاستشراق".

فـــالاستشراق حركة فكرية ثقافية تستخدم للدلالة على ثلاثة أشياء:

1. الكتابات البحثية في مختلف أنواع العلوم والمعارف التي أنجزها المتخصصون لدراسة الشرق، أو لمن كانت لهم صلة به من الدبلوماسيين وعسكريين ورحالة وموظفين.
2. نزعة فن الرسم الأوربي التي قامت على استلهام الشرق واتخاذه موضوعا فنيا ثريا لأعمالها.
3. اتخاذ الشرق موضوعا للمؤلفات الأدبية أو الهجرة إلى الشرق على الورق كما نجده لدى غوته في ديوانه المعروف "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" والذي ترجمه إلى العربية صاحب موسوعة المستشرقين (المرحوم عبد الرحمن بدوي).

6/ بدايـــة الاستشـــراق:

لم تكن بداية الاستشراق في مراحله الأولى بداية منظمة ورسمية ومحددة بدقة، كما كان عليه الحال مثلا بالنسبة لظهور الاستعمار، فالاستشراق بدأ يظهر بشكل انفرادي وتدريجي من طرف أفراد أوربيين.رهبانا ومغامرين استهوتهم الدراسات الشرقية وأحلام الشرق وكذلك تم عن طريق الاحتكاك عن قرب مع الأندلس. فكان الاستشراق في بدايته اجتهادا وجهدا فرديا يتم دون تنظيم أو اشراف مؤسسات ترعاه وتؤطره وتسهر عليه وتخطط له، وتوظف رجاله حسب حاجاتها ورغباتها كما اصبح عليه الحال لاحقا. فظهر الاستشراق بشكل غير رسمي يصعب التحكم فيه والتأريخ له بدقة، لذا لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الاستشراقية، ولا متى كان ذلك إلا أنه من المؤكد أن بعض الرهبان قصدوا الأندلس وتعلموا بها وتخرجوا من مدارها، وهؤلاء كانوا أول طلائع المستشرقين، ومن بين أول هؤلاء الراهب الفرنسي جربر دي أورلياك (938-1003م)[1] لقد أجمع أغلب مؤرخي الاستشراق، أن تاريخ الاستشراق الرسمي يعود لقرارمجمع فيينا الكنيسي، في بداية القرن الرابع عشر الميلادي سنة 1312م، وفيه اتخذ قرار تأسيس عدد من كراسي الاستاذية في العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس، أكسفورد، بولونيا، أفينيون.

وإذا كان تاريخ 1312 يعطي الصبغة والانطلاقة الرسمية للاستشراق بقرار رسمي وتاريخي، فإن القرون الثلاثة السابقة لذلك التاريخ عرفت عددا معتبرا من المستشرقين من عدة دول أوربية، درسوا واهتموا بالشرق حسب رغباتهم وامكانياتهم وأهدافهم الشخصية.

إذا كان مجمع فيينا الكنسي يعطي التأريخ الرسمي للاستشراق مع بداية القرن الرابع عشر للميلاد، فإن المستشرق الألماني المعاصر "رودي باريت" يرى بأن بداية الاستشراق، وبداية الدراسات العربية والإسلامية في أوربا تعود إلى القرن الثاني عشر للميلاد.[2]

وعموما فمراحل الاستشراق المتأخرة كانت أكثر وضوحا وتنظيما وتضاريسيا وتمسكا فيما كان يخص عملها ونشاطها وتواجدها ومعرفة كل ما يحيط بها. وهذا عكس المراحل الأولى لبداية

[1] نجيب العقيقي : المستشرقون الجزء الأول ، ص 110 و عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقون ص 107

[2] احمد أحمد دياب: أضواء على الاستشراق و المستشرقين ، الطبعة الأولى ، القاهرة دار النار

الاستشراق التي لا يعتمد فيها إلا على الاجتهاد التاريخي، وجمع بعض السندات المعلوماتية المتناثرة للوصول إلى معرفة بعض الحقائق، والتي تبقى في نهاية الأمر غير دقيقة وغير مؤكدة.

لقد مر الاستشراق خلال عشر قرون، منذ ظهوره إلى غاية نهاية القرن العشرين، بحتمية تطورية تاريخية

خاضعة لقوانين التطور الطبيعي الاجتماعي والحضاري، ومن هنا ومن خلال هذه المدة الطويلة مر بعده مراحل

متفاوتة فيما بينها تفاوتا وتناقضا في الرؤى والوسائل والأهداف وأكثر تجاذبا في الشكل والمضمون، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: تبدأ مع ظهور رغبة الغرب في الاطلاع على ما حققه الإسلام من انجازات حضارية وعلمية بعد دخول العرب إلى الأندلس وصقلية، وبداية الاحتكاك بالعالم الإسلامي عن قرب، كان ذلك لا يمثل فتحا جغرافيا، بل عهدا جديدا، وقد عبر كبير مستشرقي فرنسا "لويس ماسنيون" عن هذه الفترة بقوله انها يقظة حضارية في أوربا.

المرحلة الثانية: تبدأ مع بداية الحروب الصليبية، مع نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر للميلاد، ففي عام 1294م ظفر رامون ليل بمقابليه مع ... سلسلتين الخامس وقدم له كتابين يحملان خطتين للتبشير بين المسلمين، كانت أولاهما تتمثل في التنصير للمسلمين عبر التعليم والمدرسة ومعرفة لغتهم، والكتاب الثاني تتمثل خطته في استعمال القوة إذا لم يفلح غيرها في تحقيق الهدف المرجو، هذه المقابلة مع البابا ومحاولات

ليل، هي ما تمخض عنه مجمع فيينا الكنسي وهذا لا يعد غريبا في مرحلة سيطرت فيها حملات الحروب الدينية التي كانت سجالا بين الشرق والغرب.[1]

المرحلة الثالثة : كانت هذه المرحلة مصاحبة للثورة الصناعية التي عرفتها وعرفها العالم كله، وما نتج عنها من أفكار استعمارية وتوسعية بحثا عن المزيد من الأراضي والثروات والمعادن

[1] سعيد الأعظمي و آخرون المرجع السابق ص 103

الأولية واليد العاملة الرخيصة والأسواق الاستهلاكية. وما لحق بذلك من توسع واستعمار مباشر أو غير مباشر على حساب الشرق العربي والإسلامي من المحيط غربا إلى اندونيسيا شرقا. وأمام هذا الانقلاب الصناعي الذي احدث ثورة عالمية في عالم الآلة والصناعة، كانت حاجة الدول الأوربية ملحة لخبرة خبراء الشرق — المستشرقين- فتدخل هؤلاء

بكل ثقلهم وتدخلت قوتهم وسلطتهم المعرفية، فأصبح الانقلاب ليس صناعيا، بل مركبا حضاريا متكاملا، علميا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وتكنولوجيا، وأصبح الانشراق العملة الأكثر تداولا ورواجا بين الغرب والشرق، كل ذلك كان يتطلب التسلح بمعرفة لغات الشرق وثقافته وعاداته وتقاليده ودينه، ومعرفته نفسيا وفكريا وسلوكيا، لابد من معرفة ذك قبل معرفة ثرواته وموارده.

ولانجاز هذه المهمة، خدعت المعاهد والجامعات والمؤسسات العلمية للقيام بهذا الدور، ففي القرن السابع عشر للميلاد أنشئ في جامعة كيمبريدج وأوكسفورد قسم خاص للغة العربية، وكان هدف ذلك هو دراسة طبيعة

المسلمين وكيفية التعامل معهم، وفي هذه المرحلة غدا نابليون بونابرت مصر سنة 1798م واحتلت فرنسا للجزائر سنة 1830، واستمرت هذه المرحلة إلى غاية الحرب العالمية الأولى، وهي أطول مراحل الاستشراق هي مرحلة الأوج والازدهار. لقد أصبح للاستشراق منذ بداية القرن التاسع عشر 22
مؤسسات وتنظيمات ومنظمات تمثله بصفة رسمية، وتشرف عليه وترعاه، أبرزها المعاهد والجمعيات والمجلات المختصة ومنذ سنة 1850م تطور الاستشراق ولم يصبح يخضع للرغبات والهوايات وأصبح لكل جامعة رئيسية في أوربا منهج متكامل لفروع الدراسات الشرقية. وأصبح المستشرق معنيا أكثر بالتدريب الجامعي في الدراسات الشرقية. وأصبحت الجمعيات والوكالات والمؤسسات والحكومات ترعى الاستشراق وتسيره وتشرف على شؤونه.

المرحلة الرابعة : وهي على وجه الخصوص الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين وما يليها مباشرة، وهي مرحلة بداية تطلع شعوب الشرق المستعمرة للتحرر والاستقلال، وما صاحب مطالبها من القيام بثورات وانتفاضات وظهور حركات فكرية وسياسية حديثة ماركسية وقومية وإسلامية

وغيرها في الشرق العربي الإسلامي. مما جعل بريطانيا بتقديم تقديرها الذي يدعو إلى ضرورة فهم الاتجاهات الجديدة للشرق، وإلا تعرضت مصالحها للخطر، وكان هذا التقدير بمثابة ((ميثاق جديد للاستشراق)) هكذا أصبحت الحكومات تتدخل وتقوم بالدور الذي كان يقوم به الأفراد في وقت سابق، والذي أصبح من المستحيل عليهم القيام به لاحقا، وفي هذه المرحلة المتأخرة، تطلب المشهد إدارة ، أصبح واضحا أن الحكومات والمؤسسات أقدر على لعبة الإدارة من الأفراد. ذلك هو ميراث استشراق القرن التاسع عشر الذي أصبح القرن العشرون وريثا له[1].

وأصبح الشرق الأوسط أكثر نفوذا واحتكارا من طرف بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية من غيرها، لقد أصبح الشرق الأوسط على وجه الخصوص جوهرة الغرب التي تستحق رعايته وحمايته من كل طامع أو مشاغب يهدد مصالحه، سواء كان ذلك الطامع أو المشاغب داخليا أو خارجيا، فالشرق الأوسط يذفر بثروةالذهب الأسود الحيوية والإستراتيجية زيادة على كونه يمثل القلب النابض للشرق العربي أو الإسلامي الذي جمع كنوز الحضارات الغابرة والأديان السماوية. بالإضافة إل موقعه الجغرافي المتميز والمتحكم في القنوات والمضايق.

وهناك تقسيم آخر لمراحل الاستشراق قد لا يتوافق مع التقسيم المرحلي السابق، ويحصر في ثلاث مراحل رئيسية هي:

المرحلة الأولى: وكانت مرحلة نظرية نصية تعتمد على جمع النصوص بكل أنواعها وأشكالها، ويتم التعامل معها اعتمادا على تصورات تأملية، وأحكام ذهنية أكثر مكنها واقعية وموضوعية.

المرحلة الثانية: تحول فيها الاستشراق إلى مشروع أوربي ثقافي وسياسي ومادي ضخم وصلب، إداريا واقتصاديا وعسكريا.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الاستشراق الحديث الذي أصبح يمثل: " مؤسسة لدراسات الشرق الأوسط. حوض من المصالح، شبكة من الخبراء تربط بين شركة الأعمال والمؤسسات وشركات النفط وبين العالم الجامعي، ثمة معاهد ومراكز وكليات ودوائر مكرسة جميعا لشرعية السلطة التي

[1] محمد البنداق : المستشقون و القرآن الكريم ، بيروت دار الآفاق الجديدة

تتمتع بها صفة من الأفكار الأساسية اللا متغيرة أساسا حول الإسلام والشرق والغرب والاحتفاظ بهما وتعزيزهما".

ويمكننا القول أنه ليس بالضرورة أن يتفق مؤرخو الاستشراق على أي تقسيم مرحلي له ولكن الأهم الذي يتفقون عليه جميعا هو تطور الاستشراق وتغيره شكلا ومضمونا ومنهجا وأداة منذ القرن الثاني عشر للميلاد إلى نهاية القرن العشرين، مستفيدا ومتأثرا بما عرفت أوربا من ثروات وتطورات فكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية.ولكونه جزء لا يتجزأ من الغرب لارتباطه به عضويا اجتماعيا وسياسيا.

المرحلة الأخيرة: وتمثل هذه المرحلة الثلث الأخير من القرن العشرين، خاصة بعد حرب أكتوبر- رمضان- 1973م، المرحلة التي أصبح فيها الذهب الأسود ومصادره يلعبان دورا مهما في إستراتيجية الأحداث العالمية، وتزامن ذلك مع موجة المطالبة بالتحرر الاقتصادي وظهور الحركات الإسلامية ومناهضتها للغرب عامة. في إيران بعد قيام الثورة الإسلامية الذي قادها الخميني سنة 1979م، وبعدها أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية في إيران بالشيطان الأكبر.

كان هذا هو أبرز ما واجه المستشرقين وأقلقهم، فانشغلوا بالبحث عن طرق جديدة لكيفية التعامل مع هذه الأوضاع المستجدة للحفاظ على علاقات بلدانهم ومصالحها.

ولمسايرة هذه الأحداث في هذه المرحلة، أنشأت الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1966م، جمعية دراسات الشرق الأوسط لأمريكا الشمالية، ثم أتبعتها بريطانيا بإنشاء الجمعية البريطانية لدراسة الشرق الأوسط عام 1976م.

7/ حقيقة الاستشراق:

إن حقيقة الاستشراق ابعد من ان تحصر في تعريفه اللغوي والاصطلاحي، وفي مراحل تطوره التاريخي، فما قيل عن الاستشراق في الفترات السابقة لم يكن يتعدى حدود التعريف المقتضب والمبسط الشكلي والنظري

للاستشراق، دون الخوض في نوعه وحالته وموضوعه وأبعاده، حقيقة الاستشراق تبقى أشمل وأبعد من ذلك، وأكثر تداخلا لكونه ظاهرة ثقافية متعددة المواضيع والميادين والعصور والأماكن والأعراف. ومتعددة الأطراف والاتجاهات فهو لم يكن ظاهرة عادية طبيعية في مكانها ولا في زمانها وإنسانها، ولا في موضوعها وإن ظهرت كظاهرة ثافية طبيعية في شكلها المتكامل والنهائي.

إن الاستشراق لا يعد علما ومعرفة عادية كالعلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى حتى وإن كان ينتمي لها، فالتاريخ والفلسفة والأدب والدين علوم عادية وطبيعية في حياة كل الشعوب والأمم أفرادا وجماعات، بل هي ضرورية بالنسبة لطبيعة الإنسان، لكن الاستشراق كان استثناءا ظرفيا، أحرزته ظروف تاريخية وحضارية فوجوده وسيطرته عل الساحة مرتبط بوجود تلك الظروف وزواله مرتبط بزوالها.

فكل عناصر الاستشراق كانت غير متجانسة طبيعيا وانتمائنا مع موضوعها. فتحت مظلة الاستشراق انشغال الغربي بدراسة الشرقي، والمسيحي انشغل بدراسة المسلم والآري بغير الآري، والمتحضر انشغل بالمتخلف والمستعمر بالمستعمر، والفوقي والداني. وفقد أهم عنصر وهو عنصر الانتماء والشرعية، سواء الانتماء للمكان أو للموضوع، أو الانتماء للإنسان أو التاريخ، وحتى في غياب عنصر الانتماء، لو تم ذلك بشكل إنفرادي من طرف مغامرين ودارسين هواة، لكان الأمر عاديا، وتصبح هناك أفواج بل أفواج من المستشرقين تتجلى نحو الشرق وتكتسحه ثقافيا. وتقام عشرات المؤسسات المختلفة الاختصاصات لخدمتهم، الضغط على احتكارهم على الساحة الثقافية والسيطرة عليها.

لقد أجمع الكثيرون على أن الاستشراق متفاوت من دولة أوربية لأخرى شكلا ومضمونا ووسيلة وغاية، ومن بين المقرين بذلك المستشرق الألماني المعاصر " أورليش هيرمان" الذي يرى أن هناك فراق كبير بين الاستشراق الألماني والاستشراق الفرنسي أو الأنجلوسكسوني إذ أن ألمانيا لم تكن لها سيطرة على العالم الإسلامي، خلاف فرنسا وبريطانيا، وحتى الاستشراق الألماني الذي يقارن بنظيره الفرنسي والبريطاني متهم بدوافع ورغبات وغايات استعمارية كما يعترف بذلك هيرمان.

وهذا خلاف الاستشراق الفرنسي والانجليزي الذي كان له مئات المستشرقين إذ لم نقل الآلاف، بينما دول أخرى غير استعمارية لها من المستشرقين ما يعد على رؤوس الأصابع.

أن ليس لبقية الدول الأوربية غير الاستعمارية عموما، باستثناء ألمانيا وهولندا عمالقة الاستشراق. وخبراء استعمار مثلما كان لفرنسا كدي ساسي، وماسينيون، وما كان لبريطانيا ككرومر، وبلفور وجب.

وإذ تجاوزنا مشكلة شرعية الاستشراق، فإننا نتوقف عند تقييم إنتاجه الذي يتضمن الجانب الشكلي الكمي، وجانب المضمون النوعي. فهل وفق الإشراق في إنتاجه الاستيشراقي كلية، أم كانت نتائجه متفاوتة بين الجانب الشكلي ومضمونه، وهنا أعتقد أن التوفيق كان ملازما له في جانبه الشكلي والتراكمي المادي والكمي إلى حد ما، متمثلا فيما حققه في الجمع والتصنيف والتأليف وكشف المخطوطات وطبعها وفهرستها.

ويقدر عدم ابتكارنا لهذا الانجاز الهائل للاستشراق. لا يمكن بنفس القدر موافقة كل ما جاء في مضمونه، وما توصلت إليه نتائجه وأبحاثه. وتوقفت عنده أحكامه وخلاصاته في اتجاهه العام، خاصة ما جاء به حول الإسلام ومقدساته وتاريخه، الذي أنكر وكذب بعضه وتوه وزيف بعضه الآخر.

على هذه السياسة الثقافية ومتابعتها، فدرسوا بالمعاهد والمدارس-والجامعات الجزائرية وكتبوا الدراسات والبحوث على سكانها، وعن عاداتهم وتقاليدهم ولهجاتهم، ووضعوا المناهج الدراسية للتعليم، وأشرفوا على المؤسسات الثقافية والتعليمية والجامعية إشرافا كليا سياسيا وإداريا وثقافيا.

كان تدخل المستشرقين من بين أهم عوامل حركة الصراع الثقافي والسيطرة على التعليم وتوجيه مناهجه وبرامجه واختيار مادته، لذا كانت فرنسا تعول على المستشرقين وتضع كل ثقتها وإمكانياتها بين أيديهم.

I. الظاهـــرة الاستشراقيـــة:

- علينا أن نبرز الظاهرة الاستشراقية بتحديد مظاهرها و ميزاتها .

أولا: أنـها أطـول ظاهـرة فكريـة :

فقد بدأت هذه الظاهرة لدى اليونان، فهم أول من اهتم بدراسة الشعوب الشرقية حيث وجهوا علماءهم لدراسة البلاد المجاورة فقد كانت البعثات اليونانية تأتي إلى البلاد الشرقية(مصر و العراق و الشام و غيرها) ذات الحضارة العريقة للتعلم منها لبناء الحضارة اليونانية . و قد اقتبس اليونان من حضارة الشرقيين و بخاصة في النواحي العملية و في الأخلاق و السلوك .

و منذ انطلاقة اليونان هذه و الغرب ظل منطلقا، ولكن الذي إختلف هو الهدف، فقد بدأت اليونان بهدف علمي معرفي سرعان ما تغير إلى هدف استعماري ثقافي حيث الحملات التي شنها اسكندر المقدوني في مطلع القرن الرابع قبل الميلاد على بلاد الشرق الأدنى (التسمية غربية) القديم(العراق و الشام و حوض البحر المتوسط) حتى وصل إلى أطراف الهند و أما السبب أن تأخرت الحملات الاستعمارية هو أن اليونان كان في الفترة الماضية في مرحلة بناء حضارته و لذلك كان حريصا على التعرف على حضارات الأمم الأخرى فلما استوعبها و بنى حضارته التي ازدهرت في القرنين الخامس و السادس قبل الميلاد بظهور علمائه و فلاسفته المشهورين، بدأ في حملاته الاستعمارية و قد كان الشرق عموما وثنيا عدا التوحيد الذي ظهر في بني اسرائيل في فلسطين ويرى الدكتور خليفة وفقا للمذكرة أن دول الشرق رحبت بهذا الغزو الثقافي فإنتشرت المراكز الثقافية في الشام مصر و شمال افريقيا و جزر البحر المتوسط ، و لا بد أن أضيف أن النزعة الاستعمارية و الاستعلائية و فرض اللغة اليونانية و الثقافة اليونانية كان هو السائد حتى عرف بما يسمى (بالأغرقة) أي طبع البلاد المختلفة بالطابع اليوناني ، و قد أخذ الفرنسيون هذا المسلك عنما إحتلوا البلاد العربية الاسلامية و أطلقوا على ذلك الفرنسة ، حتى أصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة القومية في عدد من مستعمراتها السابقات رغم أن الغالبية في هذه الدول لا تعرف الفرنسية ، و لكن إصرار فرنسا على ذلك إنما هو من أجل الهيمنة و فرض النظم و القيم و الثقافة الفرنسية لا سيما أن النخب الحاكمة هي التي تتكلم اللغة الفرنسية.

إذن يعود الاستشراق بنوعيه العلمي و السياسي و الفكري إلى اليونان باعتباره بلدا غربيا اتجه إلى الشرق للحصول على المعرفة و بعد أن وضع القاعدة العلمية اليونانية — على العلوم الشرقية–

انطلق إلى الشرق غازيا عسكريا و فكريا في أيام الاسكندر الذي جمع بين الهدف الإستعماري و الهدف الثقافي الفكري،و فرض الثقافة اليونانية على الشرق القديم .

1/ شمولية الظاهرة الإستشراقية :

المقصود بالشمولية إحتواء الظاهرة كظاهرة فكرية لكل مجالات المعرفة الشرقية، فهي ظاهرة علمية تحتوي الشرق عامة و ليس الشرق الاسلامي فقط. فدراستها تغطي الهند و الصين و اليابان و غيرها فضلا عن تغطيتها للعالم الاسلامي فإذن هي تحتوي معرفيا الشرق كله .

و من مظاهر الشمولية أيضا تغطيتها لكل المجالات المعرفية الإنسانية المرتبطة بالشرق ، فهي تغطي المجالات الدينية و السياسية و التاريخية و الاقتصادية و الجغرافية و الإجتماعية و الأخلاقية و الأدبية و العلمية و الفنية للشرق و غيرها و لم يبق الاستشراق شيئا شرقيا إلا درسه.

2/ تعدد أهداف الظاهرة الاستشراقية :

تتصف الظاهرة الاستشراقية بأنها متعددة الأهداف، و لذلك يصنف الاستشراق وفقا للأهداف الموضوعة له، فهناك استشراق علمي هدفه تحصيل المعرفة العلمية عن الشرق بعامة و العالم الاسلامي بخاصة من اجل العلم ذاته و بدون الخضوع لأي أهداف أخرى غير علمية، و كثيرا ما يكون الدافع إلى المعرفة الاستشراقية دافعا ذاتيا معبرا عن رغبة شخصية لدى الدارس يتجه على أساسها إلى التخصص في بلد شرقي دينيا و حضاريا و فكريا، فلا يخضع المستشرق هنا تحت تأثير أية حكومة أو مؤسسة ،يمثل هؤلاء عادة قلة بين المستشرقين و معظمهم في الوقت نفسه يتصف بحب الموضوع الشرقي الذي يدرسه و التعاطف مع الحظارات الشرقية، و بالتالي الاتصاف بالموضوعية العلمية في دراساته، و لكننا يجب أن ندرك أن هؤلاء يستغلون من قبل حكوماتهم بأن نتائج دراساتهم تصل إلى دوائر صناعة القرار السياسي و يستفاد منها، كما أن دول الغرب تستفيد أيضا من الدراسات التي يقوم بها العرب و المسلمون مكتبة الكونجرس مثلا لديها مندوب في دول العالم العربي الاسلامي

3/ اتساع دائرة التأثير الاستشراقي :

من خصائص الظاهرة الاستشراقية على الرغم من أنها ظاهرة فكرية غربية، فقد اتسع مجال تأثرها لكي تصل إلى الشرق و الغرب معا، و عادة ما يضن أن التأثير الاستشراقي محصور في الشعوب الشرقية لكن الحقيقة أن الاستشراق له تأثيره الكبير في الفكر الغربي نفسه . و بهذا ينفرد الاستشراق كظاهرة في مسألة شمولية التأثير و تغطية العالم بأسره .

أما بالنسبة للتأثير الاستشراقي في الغرب فيتضح في الأمور التالية :

إن الاستشراق مسؤول عن نقل المعرفة الاسلامية و الشرقية عامة إلى الغرب الذي أفاد هذه المعرفة حيث عكف المستشرقون على ترجمة النصوص الأساسية في الديانات و أيضا ترجمة النصوص العلمية في العلوم عند المسلمين، و عند أهل الشرق و هي العلوم التي كانت أساسا في النهضة العلمية في الغرب. و هذا يعني أن الاستشراق مسؤول عن نهضة الغرب العلمية و له إسهاماته في تقدم العلم في الغرب من خلال النصوص الشرقية و الاسلامية التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية قبل عصر النهضة . هو أيضا مسؤول عن تطور المنهج النقدمي العقلي في الغرب و بخاصة في مجال الدين، فقد أفاد المستشرقون و غيرهم من علماء الدين في الغرب من المادة و النصوص الدينية التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية و من أهمها ترجمات معاني القرآن الكريم، و الكتابات الاسلامية في تاريخ الأديان .

الفصل الثاني

جهود المستشرقين الفرنسيين

/ الاستشراق الفرنسي :

تمهيد :

إن الحديث عن الاستشراق الفرنسي و دراساته الأكاديمية التي تمت من خلال المجلة الإفريقية بعد صدور عددها الأول سنة 1856 يجعلنا نقف على ضخامة الأعمال والدراسات التي كانت ذات طابع علمي أكاديمي حوتها هذه المجلة الإفريقية la revue africaine فقد تنوعت هذه الدراسات و اتخذت بعدا مناطقيا إذا إن الدارسين الفرنسيين قاموا بعده دراسات حول التراث الشعبي الجزائري واهتموا كثيرا باللهجات المحلية و كذا كل الأشكال التعبير الثقافي .

فالحديث عن الإستشراق الفرنسي في الجزار ينبغي أن يبرز جهود هؤلاء المستشرقين و الترجمة لأهم المستشرقين الذين تركوا بصمات واضحة في الق الثقافي و الأكاديمي الجزائري .

يذهب الكثير من الباحثين إلى أن الاستشراق الفرنسي استطاع ان يقيم عدة مؤسسات وأنشأ عدة مدارس و معاهد و كراسي اللغات الشرقية و اصدر الدوريات و المجلات .

مدارس و كراسي اللغات الشرقية :

- معهد مصر الذي أسسه نابليون سنة 1798.
- مدرسة الشرقية في القسطنطينية سنة1802.
- المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة سنة 1880.
- مدرة الأب العالية بالجزائر سنة 1881.
- معهد قرطاجة بتونس سنة 1895 .
- المعهد الفرنسي في دمشق سنة 1922.
- معهد الدارسات المغربية في الرباط سنة1931.
- معهد الدراسات العليا بتونس سنة1945.
- المعهد الفرنسي – الإيراني في طهران سنة 1948

إن موضوع الدراسة يجعلنا نقف على أحد المجلات و الدوريات العلمية التي كانت أحد روافد الإستشراق الفرنسي ألا وهي :

1 / المجلة الإفريقية : *La Revue Africaine*

برزت إلى الوجود في بلادنا سنة 1856 تاريخ صدور العدد الأول فهاته الدراسات التي دأبت المجلة على إصدارها تمت في الواقع إلى تاريخ الجزائر والبلدان المغاربية الأخرى و كذا العالم الإسلامي بوجه عام كما تعنا بعادها و ثقافتها و علومها وغيرها . ورغم تقادم عهدها ورغم الظروف السياسية الصعبة التي ظهرت فيها هذه المجلة – الفترة الاستعمارية –الا انها لا تزال تحتفظ بقيمة علمية ووثائقية لا تنكر يقول بيربروجر Berbrugger احد مؤسسي هذه المجلة في هذا الباب :

" لقد اضطر الدارسون إلى اقتفاء المسالك الضيقة التي كان جنودنا المغاوير يفتحونها لهم .كان عليهم إذن ان يكتفي باخذ ما هو متاح في اعقاب الجيش مع الإبتعاد بعض الشيء عن الخط المرسوم للعمليات العسكرية "(العدد الاول . 185 ص 05-la revue africaine).

يعود الفضل في انشاء هذه المجلة الى الحقبة التاريخية الجزارية التي كانت تضم عددا لا يستهان به من كبار الباحثين في مختلف المجلات و ان كان جلهم ينتسب الى ما يعرف بالاستشراق من امثال" دوسلان و بيربروجر وأندري باسي وروني باسي و باك بيرك و برودل و غيرهم" .

صدرت هذه المجلة في سنة 1856 و ختفت سنة 1962 و كانت تصدر كل شهرين . تقدر مجموع المقالات التي نشرها طوال هذه المدة الكبيرة بـــــ1267 مقالة في العديد من التخصوصات كما اسلفنا : تاريخ ، حفريات ، نقوشات ، أدب شعبي ، أدب عربي فصيح ، لغات و لهجات ...إلخ .

إضافة إلى هذه المجلة قامت فرنسا باصدار عدة دوريات و مجلات استشراقية منها :

- المجلة الاسياوية بفرنسا سنة 1822.
- نشرة معهد مصر سنة 1859 .
- المجلة التاريخية بفرنسا سنة1876.

- مجلة تاريخ الاديان لفرنسا سنة 1880.
- نشرة المرسالات الإفريقية سنة 1881.
- نشرة الجمعية اللغوية في باريس سنة 1905.
- حوليات معهد الدرسات الشرقية بجامعة الجزائر سنة 1930.
- محفوظات البربر سنة 1915.
- مجلة هيسبرس سنة 1921.
- المحفوظات العربية سنة 1904.
- نشرة مدرسة الدراسات الشرقية الإفريقية .

إن طبيعة الموضوع تفرض علينا ضرورة ابراز الجهود التي قام بها المستشرقون الفرنسيون من خلال المجلة الافريقية و انطلاقا من تصفحنا لهذه المجلة منذ صدور عددها الأول سنة 1856 و حتى أخر عدد سنة 1962 وقفنا على كم هائل من الدراسات و الأبحاث و التقارير الميدانية المرتبطة بالجزائر و الدول الافريقية و قبل الخوض في ابراز هذه الدراسات و الأبحاث كان لزاما علينا أن نعترف بفضل المستشرقين الفرنسيين ***بربروجر- شاربونو- دوسلان*** بانشاء و تنظيم اثنتين من أهم الجمعيات العلمية في الجزائر

انشئت الجمعية الحفرية القسنطينية la société archéologique de Constantine و هي أولاهما في ديسمبر 1852 من بين أعضاءها المؤسسين نجد شربونو، برولار و فينيار. منذ سنة 1853 أخذت الجمعية تصدر دليلا سنويا (Annuaire) في 1854، تحول هذا الدليل السنوي إلى سجل ملخصات و مذكرات الجمعية Recueils des notices a mémoires de la société منذ هذه الفترة كانت الجمعية تضم بعض التخصصين اللامعين في الاسلاميات فايسات (مؤلف تاريخ بايات قسنطينة في 1867) و فييو Villot مؤلف طبائع الأهالي و خاصة أرنست مرسي Mercier الذي جعلته أعماله الممتازة في التاريخ و القانون و

المنقوشات (خاصة تاريخ شمال أفريقيا و وضع المرأة المسلمة و قانون البوس و الملكية الأهليه في المغرب) يتولى رئاسة الجمعية في 1893

أما الجمعية التاريخية الجزائرية Société Historique Algérienne .فقد تأسست أربع سنوات بعد ذلك في الجزائر في سنة 1856 بفضل المبادرة التي أقدم عليها بربروجر و لقد ساهم انشاء هاتان الجمعيتان في بعث عدة دراسات في المجال التاريخي و إبراز الآثار و المنقوشات التي كانت تحوز عليها الجزائر و إخراجها إلى حيز البحث و الدراسة .

ينبغي لي قبل البدء في ابراز هذه الدراسات و الأبحاث التي وجدتها في ثنايا هاته المجلة أن أسجل انطباعا جعلني أدرك كم كان التاريخ الجزائري و التراث الجزائري عرضة للبحث و الدراسة على مدار العقود الماضية و كيف استطاع هؤلاء المستشرقون الفرنسيون أن يدرسوا عاداتنا و تقاليدنا و تاريخنا و كيف أنهم اهتموا بأدق التفاصيل عنا و لعل معظم الباحثين الذين رصدوا ظاهرة الاستشراق كانوا مدركين لأهداف الاستشراق و كيف أنه كان الوسيلة المثلى لاخضاع هذه الشعوب و النيل من ذاكرتها الجماعية، و من هؤلاء إدوارد سعيد الذي يرى أن الاستشراق يكرس تلك الرؤية السلبية نحو الشرق بتاريخه و فكره و يفرض الرؤية الغربية المتأتية منها القيم الحضارية و الانسانية

اهتمت المجلة الافريقية la Revue Africaine بجميع ميادين البحث في الجزائر و كان الميدان الذي عمل فيه المستشرقون الفرنسيون في الجزائر يشمل متن اللغة العربية و النقوش و التاريخ و الديني و تحقيق المخطوطات، و ترجمة النصوص الأدبية و التاريخ و الجغرافيا و الفقه و الايثنوغرافيا و الفنون الشعبية، و تأليف الكتب المدرسية

و لكن و على الرغم من هذه الأعمال و الدراسات الكبيرة التي اهتم بها المستشرقون الفرنسيون من خلال المجلة الافريقية فإنه ينبغي التنبيه إلى أن هذه الدراسات و النصوص المترجمة و المخطوطات المحققة ما تزال بحاجة إلى باحثين متخصصين في شتى ميادين المعرفة .

و فيما يتعلق بالاثنوغرافيا و اللهجات ، يقتضي الأمر القيام بالبحث و التحقيق في مختلف المناطق في مجال العادات و التقاليد و اللهجات المحلية .

فالبحث الذي قمت به يرمي إلى رصد جهود المستشرقين الفرنسيين في الدراسات اللهجية من خلال المجلة الافريقية la Revue Africaine

و إنه من الأمانة العلمية أن أسجل أن المستشرقين الفرنسيين تحلو بصبر و ايمان بمستقبل هاته الدراسات إضافة إلى ذلك من خلال وقوفي على هاته الدراسات التي حوتها المجلة وجدت كثيرا من الكتب المحققة و المترجمة خاصة في المجال الفقهي و كذلك في ميدان البحث اللغوي خاصة اللغة العربية فمثلا قدم المستشرق الفرنسي روانى Rouanet دراسة قيمة عن الموسيقى العربية و كذلك عني جورج مارسي بأبحاث حول آثار مدينة تلمسان و قلعة بني حماد .

2 / أهم المستشرقين الفرنسيين :

ألفريد لوشاتلييه Alfred lechatelier(1855-1929)م. [1]

مستشرق فرنسي غني بالاوضاع الإجتماعية و الثقافية و السياسية في العالم الإسلامي . وخاصة الإسلام في افريقية و المغرب العربي ، وانشئ مجلة العالم الاسلامي سنة 1807م كان هدف لوشاتليين استاذ علم الاجتماع الاسلامي ، البحث عن كيفية التعالم مع العالم الاسلامي و التحكم فيه ،و اوصى بان يكون ذلك عن طريق الثقافة و التعليم .

من اهم اعماله : الجزائر و نبات الحلفاء ، الاسلام في القرن التاسع عشر ، المسلمون في افريقيا ، الاسلام الاسلامي، السياسة الاسلامية.

أندري باسي A-Basset (1895 – 1956) .

من المتخصصين في دراسات البربر في شمال افريقيا كتب عن لغة البربر و جغرافيتهم و تاريخهم و عاداتهم وعقائدهم : و لهم مفردات عربية في البربر — لغة البربر في أراضي الجنوب ، الآن في لغة البربر ، القرابة اللغوية و لغة البربر — راي في لغة البربر ، العصرفي لغة البربر[2]

1 ألفريد لوشاتيليه : الغارة على العالم الاسلامي ص 15

2نجيب العقيقي : ج 1 المستشرقون ص 305

هنري باسي H – Basset (1893-1926)م.

انشاء مجلة الدروس المغربية المعروفة باسم هسبريس 1921 . ومما كتب آداب البربر . التاثيرات الفينقية لدى البربر[1]

برنار اوجيست Bernard , AuG (1865 – 1947) .

كان من أساتذة جامعة الجزائر .من آثاره تطور البداوة في الجزائر .أدب البربر .

برون الدكتور Perron –Dr (1805-1876) طبيب تخرج من باريس وعين مديرا لمدرسة الطب بالقاهرة ثم تنقل بين عدة بلدان عربية ،من أهم آثاره : قواعد العربية ،العربية العالمية في الجزائر ،المختصر في الفقه للخليل بن اسحاق متنا وترجمه في سبعة أجزاء أنفقت على طبعته وزارة الحربية الفرنسية ،وذلك لأخذ الجزائريين به في أحكامهم العسكرية [2].

برونو هنري ،Bruno- H (1888-1948) م .

ولد بشر شال ضواحي الجزائر العاصمة وتخرج من جامعتي الجزائر وباريس وتقلد عدة مناصب بالجزائر ،وأنتخب نقيبا للمحامين ،من آثاره : النظام المالي في الشرع الإسلامي ،العرف لدى البربر المغرب ،قانون العرف عند البربر وله بحوث وافرة في القانون والتشريع والاجتهاد والعرف في الجزائر [3].

بل ألفرد Bel-Alfred (1873-1945) م.

من الستشرقين الذين اقامو بالجزائر وتشغل مدير المدرسة تلمسان عدة سنوات ،وبها درس تاريخ المدينة وجغرافيتها وآثارها وصنف أبنيتها ،وفك رموز نقوشها وكتاباتها .

بل أكتاف Pelle –O (1889-1947) م.

ولد بالجزائر وتلقى تعليمه بها وبعد تخرجه عين مديرا بمعهد دراساتها العليا .

بوسكة ج،هـ . Bousquet G .H :

1 نفس المصدر

2 عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين

3 نفس المصدر ص 281

من أساتذته كلية الحقوق وعلم الاجتماع في الجزائر ،من آثاره بمعاونة هنري بيريس:عادات ونظم الوطنيين في الجزائر ،الجزء الأول صدر سنة 1939 ، الشرع الاسلامي في شمال افريقيا أبناء الطسعيون في الجزائر ،عقد زواج تلمساني ،استمرار عادات البربر ،طهارة المرءة في الاسلام .

بلا شارل Pellat .chare (1914-1947).

ولد بالجزائر عام 1914 بمدينة سوق اهراس وتخرج بشهادة عن لغة البربر من كلية الآداب بجامعة الجزائر سنة 1938 م وأصبح من كبار المستشرقين وشغل منصب مدير دائرة المعارف الاسلامية في نشرها الفرنسية سنة 1956 .

دلفين ،ج Delphin ,G 1914-1919 .

كان مديرا لمدرسة وهران ومدرسا للغة العربية ولهجاتها .

ديسبارمت Desparmet 1863-1942

استاذ للتعليم الثانوي بالجزائر من آثاره التي كتبها : أنشودة الجزائر أثناء الحرب الكبرى ،موله بتاريخ وطني في الجزائر ، علماء الجزائر

ديستنغ أمون Destaing , E 1872-1940

استاذ لغة البربر في مدرسة اللغات الشرقية بباريس إهتم بالكتابة عن لهجة البربر ومن آثاره : معجم فرنسي بربري سنة 1920 .

رينة باسية Basset ,Rane 1855-1925

يعد من أشهر المستشرقين في فرنسا ومن اهم آثاره : درآسات في اللهجات البربرية ، فهرس للغة القبائل الكبرى ،مجموع حكايات بربرية عامة ،لقمان البربري ، مباحث عن دين البربر، الالفاظ العربية في لغة البربر ، نشاط فرنسا العلمي في الجزائر وفي شمال افريقيا منذ سنة 1830 ،وله كذلك فهرس مكاتب الزوايا وكان من ابرز محرري دائرة المعارف الاسلامية واحد مديريها وكان من محرري المجلة الافريقية ،ونشرة الدراسات الافريقية ،ونشرة الآثار الافريقية ترأس رينيه مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي انعقد في الجزائر 1905 .

مرسية وليم Marcais, William (1874-1956) .

مستشرق فرنسي اهتم خصوصا باللغة البربرية و اللهجة العربية المغربية عين في سنة 1898 مديرا لمدرسة تلمسان ، فمكنه هذا المنسب من الاتصال بالمعلمين العرب فيها وتعلم اللغة العربية و اللغة البربرية ثم عين ناظرا للمدرسة العليا في الجزائر .ثم انتقل إلى باريس حيث عين أولا في مدرسة ودراسات العليا الملحقة بالسوربون . ثم في الكوليج دي فرانس سنة 1927 وصار عضوا في اكادمية النقوش و الآداب الجميلة .

وقد قام في مطلع شبابه بترجمة "ديوان اوس بن حجر التميمي " إلى الفرنسية ،اسنادا إلى النص العربي . وله درسات و محضرات جمعت بعد وفاته في مجلة بعنوان (Article et Conférences)مع مقدته لاخيه جرج مارسي ومنه عن حياته ومؤلفته كتبها A.Merlin ونبذتان عن حياته بقلم كانار canard .و هـ .تراسن Terrasse نشرتا من قبل في " منشورات معهد الدراسات العليا المركشية في الرباط " .وصدر هذا المجلد في سنة 1961 ، وقد ضم ما يلي :

- العبادة في الإسلام .(محاضرة في ستراسبونغ سنة 1923) .
- اصول النثر الادبي العربي سنة1927 .
- الإسلام والحياة المدنية سنة 1928.
- اللغة العربية "مجلة التعليم العام ديسمبر 1930".
- قرن من الابحاث في ماضي الجزائر الإسلامية "في الإحتفال المئوي بالجزائر -1931".
- معجم العربية "محاضرة باللغة العربية ألقيت بالرباط سنة 1940".

وإشتركى مع هوداس Houdas بترجمة صحيح البخاري إلى اللغة الفرنسية .

كور أوغست Cour,A سنة 1945 .

كان من كبار مستشرقي في الجزائر و شغل بها منصب كرسي العربية بقسنطينة من اثاره : الرجل السياسي على عهد الأمير عبد القادر .كما شغل كرسي العربية بالجزائر ووهران .

لويس جاك بريينيه : Bernier .L.G 1814 - 1869 .

مستشرق فرنسي من تلاميذه دي ساسي ، كان هذا الأخير قد أعجب به فأوصى له بأن يكلف بانشاء تعليم اللغة العربية في الجزائر للفرنسيين ، كان ذلك سنة 1836 . فأصبح أول مستشرق تولى كرسي اللغة العربية بالجزائر و كانت مهمته تعليم الأوروبيين العسكريين و المدنيين العامية الجزائرية ، وقواعد اللغة العربية لتسهيل عملية الاتصالو الاحتلال والتعامل المباشر مع الجزائريين ، حفاظا على مصالحهم الزراعية والصناعية وتجارية.فكون مجموعة من المترجمين الفرنسيين (وعمل هؤلاء في خدمة الإدارة الفرنسية الحاكمة في الجزائر) وأقتصر دوره على تعليم اللغة العربية ووضع الكتب المدرسية .

هوداس أوكتاف Houdas 1840-1916

كان من كبار المستشرقين الفرنسيين المقيمين بالجزائر ، شغل أستاذ اللغة العربية بالجزائر ، ثم رقي إلى مفتش عام للتعليم بالجزائر و قد صنف عدة كتب لتدريس العربية قام بترجمة كتاب (تحفة الحكام في نكث العهود و الأحكام).

و قام بتحقيق سلسلة من الكتب العربية التي تتصل بتاريخ المغرب (المغرب الأقصى والسودان) كما قام بترجمة صحيح البخاري (نشر الجزء الاول منه مع وليام مرسي) .

ماسكرا ي Masqueray 1843-1894م.

مستشرق فرنسي أشتغل مديرا بمدرسة الآداب العليا و التي تحول فيما بعد إلى كلية الآداب من أثاره ترجمة بني ميزاب سنة1878 والتقاليد الشعبية سنة 1879 و له عدة دراسات عن لهجات البربر و التو ارق .

جاك أوغيست شاربونوويل

ولد سنة 1813 اختير لشغل كرسي الدراسات العربية في قسنطينة.

إن إحصاء مؤلفات شاربونو العلمية بالتفصيل سيكون عملا ثقيلا و لكن من أهمها قاموسان فرنسي عربي و عربي فرنسي و من الأعمال ذات الصبغة العلمية هي التي كرسها شاربونو للهجات الجزائرية أهمها : définitions lexicographique des plusieurs mots ;lettre à defremery sur le paradigme d'une :forme usité

dans l'arabe parlé ; traité méthodique de la conjugaison arabe dans le dialecte algérien ; observation sur l'origine et la formation du longuage arabe africain.

إضافة إلى بحثه الذي نشر سنة 185 تحت عنوان "هل توجد أم لا توجد لغة عامية في الجزائر ".

مع ذكرنا لبعض أعماله إلا أن معظم الدارسين يشيرون أن دراسات أوغست كانت لها ميزة أنها خطت معالم الطريق لدراسة اللهجة العامية الجزائرية إلا أن أعمال شاربونو التي كتب لها البقاء هي : " رسائله التي تعالج تاريخ المغرب.

دوسلان Deslane (وليام ما ك جوكين)

اسمه من مدينة صغيرة تقع في اكونتية هيون وقد ولد في بلغاست،في إرلندا،في12 اغسطس 1801 أصبح من اكبر تلامذة سيلفاس دي ساسي إذ قام بنشر ديوان امرؤ القيس مرافقا بترجمة فرنسية و مقدمة إستخلص عناصرها من كتاب الأغاني

عين دوسلان في وظيفة كبير المترجمين في الجيش في الأول من سبتمبر سنة 1846 لقد كان دوسلان ضليعا في اللغة العربية والتركية إذ سمحت بتعيينه مدرسا للغة التركية في مدرسة الالسن الشرقية بموجب مرسوم ملكي صدر في 23يناير 1848 .

أعماله و مؤلفاته

قام بتحقيق <<كتاب ألمغرب في ذكر إفريقية و ألمغرب>>لأبي عبيد ألبكري وترجمته إلى ألفرنسية

قام بترجمة لـــمقدمة ابن خلدون وكذلك تاريخ البربر .

لقد قدم دوسلان خدمة عظيمة لعلم التاريخ بترجمته هدين الكتابين الهامين ولو أن عمله يحتاج إلى من يجدده وينقحه ولا سيما المقدمة توفي دوسلان في باسي في 04اغسطس 1878.

هيار كليمان huart,clément (1854-1927)

مستشرق فرنسي ولد بباريس عام 1927 و تخرج من مدرسة اللغات الشرقية التحق بوزارة الخارجية الفرنسية وعمل ترجمانا في دمشق الاتانة.ومثلها في مؤتمرات المستشرقين التي عقدت

في الجزائر عام 1905وكوبنهاجن1908. واشتغل بالتدريس كأستاذ بمدرسة اللغات الشرقية ومدير دراسات بمدرسة الدراسات العليا .

من أعماله:

- البدو والتاريخ لإبن المطهر المقدسي (1899-1909).
- تاريخ بغداد في العصر الحديث.
- تاريخ العرب في مجلدين 1912.
- ديوان سلامة بن جندل.
- حكاية سلمان الفارسي.
- قصائد عفيف التلمساني وإبنه الشاب الظري

بيربروجي(berbrugger) ولد أدريان بيربروجي في سنة 1801 وبعد أن أكمل دراسته في شارلمان الثانويةإلتحق بمدرسة شارت(école des chartes) في سنة 1832 كلف بمهمة البحث عن القطع الأثرية التي يرجع عهدها إلى زمن اطلال فرنسا في القرن الخامس عشر .

توفي في 02 يوليو 1869. شغل قبل وفاته منصب كاتب للوالي العام كلوزيل . دفعت به ثقافته الواسعة وحبه للاستطلاع في طريق البحث بعيدا عن الدراسات العربية. له دراسة جيدة معنوية (l'algerie historique , pittoresque monumentale

هو من الأوائل الدين عملوا للمحافظة على الآثار الرومانية في الجزائر . له عمل مهم تحت عنوان voyage d'el aiachi dans le sud de l'algerie وهو عبارة عن ترجمة فرنسية لهده الرحلة.

بعد أن استعرضنا أعلام الاستشراق وأعمالهم في الجزائر وهي بلا شك حافلة بالانجازات فنحن مدينون لهؤلاء .المستشرقون الثلاثة –بربروجر ،شربونو ،دوسلان –المساعدين من قبل العلماء الآخرين .بانشاء وتنظيم اثنتين من أهم الجمعيات العلمية في الجزائر .

أنشئت الجمعية المغربية لقسنطينة La société Arabe archéologique de Constantineوهي أولاهما في ديسمبر 1852. من بين أعضائها المؤسسين نجد :شربونو ،

برولارى وفينيار .منذ سنة 1853 .أخذت الجمعية تصدر دليلا سنويا في 1854 ،تحول هذا الدليل إلى سجل ملاحظات وذكرات الجمعية .منذ هذه الفترة كانت الجمعية تظم بعض المتخصصين اللامعين في الاسلاميات : فايسات (مؤلف تاريخ بايات قسنطينة .في 1867) وفييو (مؤلف طبائع الاهالي) وخاصة أرنست مرسي الذي جعلته أعماله الممتازة في تاريخ والقانون والمنقوشات (خاصة تاريخ شمال افريقي ووضع المرءة المسلمة ،وقانون البوس والملكة الأهلية في المغرب) يتولى رئاسة الجمعية في 1893 .بعد ذلك قدم أبناء وأحفاد مريسيي بدورهم مساهمة هامة للدراسات حول جمال افريقيا أما الجمعية التاريخية الجزائرية فقد تأسست أربع سنوات بعد ذلك في الجزائر في سنة 1856 بفضل المبادرة التي أقدم عليها بربروجي عربية ودراسات حول مصادر أدبية وأبحاث في المنقوشات (منقوشات القيروان وجزيرة دحلك وندرومة) ووثائق جغرافية وتاريخية عربية و دراسات للفلكلور العربي وأبحاث ي اللسانيات (ملاحظا تحول اللسانية، وهي اللهجة المستعملة من قبل أهالي المغرب Tlaures الموجودين في الضفة اليمنى من السنيغال في صلب هده الأعمال كلها ، تشكل الترجمات بطبع الجزء المستديم . وكان باسي متمكنا من العصر العربي القديم بوصفه شارحا ممتازا . وقد توفي وهو جالس أمام مكتبته في 4 جانفي 1924 دون أن يجد الوقت الكافي لاتمام سلسلته من الاعمال التي كان بعضها متقدما جدا .

3/ أهم الدراسات التي قام بها المستشرقون الفرنسيون

من أهم الدراسات التي قام بها المستشرقون الفرنسيون (من خلال المجلة الإفريقية)

- المجلة الإفريقية العدد 25 سنة 1881 ماسي جويلية سبتمبر الدراسات اللسانية الاثنولوجية لأصول البربر المجلة الإفريقية عدد 38 سنة1894 الأغنية الجزائرية في القرن Venture de paradis 18
- المجلة الإفريقية العدد 44 سنة 1900 ملاحظات حول الشعر المعاصر عند البدو الجزائريين .
- المجلة الإفريقية العدد 45 سنة 1901 لألكسندر جولي صفحة 283 .

- المجلة الإفريقية العدد 47 سنة 1903 ملاحظات حول الشعر عند البدو الجزائريين لالكسند جولي صفحة 171-194 .
- المجلة الإفريقية العدد 48 سنة 1904 .
- المجلة الإفريقية العدد 51 سنة 1907 أصل كلمة شاشية لإبن شنب صفحة 55.
- المجل الإفريقية العدد 48 سنة 1904 ملاحظات حول الترجمة الفرنسية لبعض التسميات الشائعة عند التوارق صفحة 185- 190 .
- المجلة الإفريقية العدد 49 سنة 1905 أسطورة بنت الخدس راني باسي صفحة 18-34 .
- المجلة الإفريقية العدد52 سنة 1908 تقرير حول الدراسات البربرية هاوسة 1902 - 1908 صفحة 243-264
- المجلة الإفريقية سنة 1905يناير لدى بني سنوس ديستان Destaing صفحة 56-70 .
- المجلة الإفريقية سنة 1909 أشهار الجنوب ألكسند جولي صفحة 285-307 .
- المجلة الإفريقية سنة 1907 العربية المستعملة في جنوب وهران .
- المجلة الإفريقية سنة 1919 حكاية من البليدة لروني باسي صفحة 283-286 .
- المجلة الإفريقية العدد 73 سنة 1932 اغاني الجزائر اثناء الحرب الكبرى ديسبارمي ص 54-83.
- المجلة الإفريقية العدد 74 سنة 1933الدراسات العربية في الجزائر 1830-1930.
- المجلة الإفريقية العدد 85 سنة1941 اللغة البربرية في أقاليم الجانوبية صفحة 62-71.
- المجلة الإفريقية العدد 90 سنة 1946 الدراسات البربرية بلولت .
- المجلة الإفريقية العدد 79 سنة 1936 حال متكلمي البربرية في نواحي وهران ص 1002-1006.

- نظرة حول الشعر العامي في تلمسان.
- الشعر الشعبيين في تلمسان بن سايب وبن تريكي صفحة 1007-1035 .
- المجلة الإفريقية العدد 76 سنة 1935 العلاقة اللسانية و البربر أندري باسي صفحة 357-359 .
- المجلة الإفريقية العدد 86 سنة 1942 جمع الأسماء في البربرية لاندري باسي صفحة 255-260.
- المجلة الإفريقية العدد 86 سنة 1942 عامية عرب في الجزائر العاصمة لإبن شنب ص 72-101.
- المجلة الإفريقية العدد 81 سنة 1937 متكلمي لهجة الجزائر العاصمة ليميلون صفحة 345-351
- ملاحظات حول لهجة عرب تشاد سنة 1912 Derindinger.
- أصول النثر الأدبي العربي للمجلة الإفريقية سنة 1927 W.Marçais.
- الجملة البربرية في ضوء المنشورات الحديثة للمجلة الإفريقية سنة 1960 Galand.
- و فيما يأتي نقف عند أهم الدراسات اللهجية التي عثرت عليها من خلال المجلة الافريقية.

4/ محاولات دراسية لسانية و اثنولوجية حول أصول البربر : المجلة الافريقية 1881

ففي هذه الدراسة حاول المستشرق الفرنسي الوقوف على لهجات البرير و أصولهم العرقية و تناول بعض الجوانب الصوتية في اللهجة الأمازيغية ، و ينبغي أن ننبه أن هاته الدراسة هي مجموع ملاحظات لا ترتقي إلى بحث حقيقي و هي تنتمي إلى الدراسات التي حاولت فرنسا من خلالها إلى التشكيك في أصول الأمازيغ و لغتهم و عاداتهم و جعلها مرتبطة بأوروبا و الباحث الذي يروي الحقيقة يجد أن هاته الدراسة بعيدة عن الجانب اللساني أو الدراسات اللسانية ذلك أن المستشرقين الفرنسيين برغم روح البحث التي تحلوا بها فإنهم لم يمتلكوا كل الجوانب العلمية خاصة اتقان مختلف اللهجات . باختصار هذه الدراسة عبارة عن آراء تحتاج إلى تحقيق و مزيد من البحث .

5 / الأغنية الجزائرية في القرن الثامن عشر : لفوتتير دو برادي [1]

هذه الدراسة هي عبارة عن ملاحظات حول الاغنية الجزائرية أو الأغنية الجزائرية الشعبية ، و اعتمد المستشرق الفرنسي على ترجمة الأغاني الجزائرية إلى اللغة الفرنسية إذ قسم الأغاني إلى عدة أقسام و حاول ترجمة كل كلمات الأغاني و المثير أن المستشرق الفرنسي إعتمد على الأغنية الجزائرية الشعبية لتصوير الواقع الإجتماعي الجزائري آنذاك ، فهي محاولة لدراسة البنية الثقافية الجزائرية ، ثم تطرق بعد ذلك إلى أعلام الأغنية الشعبية الجزائرية ، و حاولوا ترجمة بعض نصوص الأغاني الشعبية بالأمازيغية .

6 / ملاحظات حول الشعر المعاصر عند البدو الرحل الجزائريين : لاسكندر جولي [2]

يعتبر من المستشرقين الذين قدموا عدة دراسات منها دراسات حول الاولياء في الاسلام و دراسة أخرى عن الطريقة الشاذلية و كذلك قام بأبحاث هامة عن الشعراء

المعاصرين . و دراساته الشعرية عبارة عن ترجمات لكثير من الأشعار لدى البدو الرحل الجزائريين و عرف عنه تنقله إلى الكثير من مناطق الجزائر لرصد و ملاحظة هذه الأشعار و اكتفى بالترجمة و فهم العبارات و المعاني التي تناولها الشعراء فهي تدخل في إطار ابراز التراث الشعري الجزائري إلى حيز البحث و الدراسة و نحن مدينون لكثير من المستشرقين الفرنسيين الذين انكبوا على إظهار هاته اللآلئ التراثية و جعلها موضع بحث و دراسة .

7 / يناير عند بني سنوس :ايدمون ديستانغ [3]

يعتبر ديستانغ من المستشرقين الفرنسيين الذين عنو بمدينة تلمسان و بتاريخها و عاداتها و له دراسة مهمة حول منطقة بني سنوس تحتوي على عدد مهم من النصوص الأمازيغية بالترجمة و قدم مشاهدات حول الأعراس و الأفراح و العادات الموسمية لنفس القبيلة .

---

[1] **venture de paradis :** un chant algérien du XVIII siècle revue africaine,1894

[2] **Alexandre Joly :** remarques sur la poésie moderne chez les nomades algériens Revue Africaine 1900

[3] **Destaing :** l'ennoyer chez les Beni-Snous revue africaine 1905

و البحث حافل بالنصوص التي استقاها عن طريق المجالسة و التجوال عبر المنطقة و سمحت له بتكوين دراسة وافية عن هاته المنطقة الغنية بعاداتها و تقاليدها. و لا تزال تحتاج إلى الدراسة و البحث .

8 / نظرة حول الشعر العامي لتلمسان : [1]

في هاته الدراسة وقف أندري باسي على أعلام الشعر العامي بتلمسان ابن مسايب و بن تركي و أبرزالكثير من أشعارهما ، و قام بترجمة و فهم موضوعاته مع التحليل و الشرح و هي دراسة ترمي إلى ابراز ديواني هذان الشاعران و أهم المواضيع الشعرية التي عالجاها في ديوانيهما الشعري . و عنوان الدراسة عبارة عن ملاحظات و بالتالي هي بغاية البحث في الجانب الثقافي و الفني لمنطقة تـــلمسان .

9 / الوضعية الحالية لمتكلمي البربرية في اقليم وهران: لأندري باسي[2]

هذه الدراسة عبارة عن إحصاءات حول نسبة المتكلمين بالأمازيغية و مقارنتها باللهجات الأخرى، و هي ترمي إلى إيجاد نوع من الفرقة في البنية اللغوية الجزائرية بغية ضرب الوحدة الجزائرية و هي لا تعدو أن تكون دراسة علمية أكاديمية و تدخل في أهداف المستشرقين الفرنسين على إستعمال بعض الدراسات اللسانية لضرب الهوية اللغوية و الجغرافية في الجزائر . و بالتالي اختراق النسيج الاجتماعي و الثقافي الجزائري و هي مدرجة في سياق التقارير Rapport التي دأبت المجلة الافريقية على نشرها (ابرازها على صفحاتها)

10 / ملاحظات حول التسميات المستعملة عند التوارق :[3]

إن هذه الدراسة قام بها أحد الضباط الفرنسيين و هي تدخل في إطار محاولة فهم الأهالي و التواصل معهم خاصة الجنوب الجزائري لذلك عمد هذا الضابط الفرنسي إلى ترجمة الكلمات المستعملة عند التوارق إلى اللغة الفرنسية و أقام قاموسا لهذه اللهجة حتى يتسنى له التواصل و فهم التوارق ، و هذه الملاحظات لا ترقى إلى دراسات أكاديمية في المجال اللساني ذلك أن المستشرق

[1] **A.Basset** : aperçu sur la poésie vulgaire de Tlemcen, les deux poètes populaire de Tlemcen IBN Msaîb et IBN Triki . Revue Africain 1936

[2] **A.Basset :** situation actuelle des parler berbères dans le département D'Oran, Revue Arricaine 1936

[3] **Capitaine Metois** : notes sur la transcription en trangais de quelques dénominations usitées chez les Touareg,Revue Africain 1904

الفرنسي يفتقد إلى ناصية لهجة التوارق و هي تدخل ضمن ميدان الدراسات التي أنجزت لأهداف عسكرية .

إن الوقوف على جميع الدراسات التي قام بها المستشرقون الفرنسيون من خلال المجلة الافريقية عمل كبير و لكن ركزت جهدي على ابراز أهم الدراسات التي قام بها المستشرقون الفرنسيون و البحث الذي قمت به يرمي إلى إيجاد مرجع جاد حول أهم الدراسات التي حوتها المجلة الافريقية و لعلني قدمت بعض هذه الدراسات و تركت البعض و قمت بترجمة عناوين الدراسات و الأبحاث و تركت بعض الدراسات لأجملها كعناوين باللغة العربية حتى تكون سندا لمن يريد مزيد بحث و دراسة في هذه المجالات المعرفية فهي مرجع بيليوغرافي لكل طالب باحث .

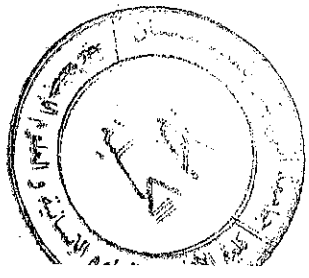

الفصل الثالث

نماذج من الدراسات السابقة

I / تعريف بالمجلة الإفريقيـــة: La Revue Africaine

إن اهتمامنا بهاته الدراسات تمثل مساهمة علمية لمعظم المقلات و الدراسات القيمة التي دأبـــت المجلة الإفريقية La Revue Africaine على نشرها منذ بروزها إلى الوجود في بلادنا في ســـنة 1856 تاريخ صدور العدد الأول و هذه الدراسات و المقالات تمت في الواقع إلى تاريخ الجزائـــر و البلدان المغاربية الأخرى و كذا العالم الإسلامي بوجه عام كما تعني بعاداتها و ثقافاتها و علومها و غيرها. و رغم تقادم عهدها و رغم الظروف السياسية الصعبة التي ظهرت فيها هذه المجلة –الفتـــرة الاستعمارية– إلا أنها لا تزال تحـــتفظ بقيمـــة علميـــة و وثائقيـــة لا تنكـــر. يقـــول بيربروجـــر Berbrugger أحد مؤسسي هذه المجلة في هذا الباب.

"لقد اضطر الدارسون إلى اقتفاء المسالك الضيقة التي كان جنودها يفتحونها لهم. كان علـــيهم إذن أن يكتفوا بأخذ ما هو متاح في أعقاب الجيش مع الابتعاد بعض الشيء على الخـــط المرســـوم للعمليات العسكرية. [1]

يعود الفضل في إنشاء هذه المجلة إلى الجمعية التاريخية الجزائرية التي كانت تضم عددا لا يستهان من كبار الباحثين في مختلف المجالات و إن كان جلهم ينتسب إلى ما يعرف بالاستشراق من أمثـــال دوسلان و بربروجر و أندري باسي و روني باسي و جاك بيرك و برودل و غيرهم، صدرت هـــذه المجلة إذن في سنة 1856 و اختفت في سنة 1962 و كانت تصدر كل شـــهرين. يقـــدر مجموع المقالات التي نشرتها طوال هذه المدة الكبيرة ب1267 مقالة في العديد من التخصصات كما أ سلفنا: تاريخ، حفريات، منقوشات، أدب شعبي، أدب عربي فصيح، لغات و لهجات إلخ.2

II ملاحظات حول الشعر المعاصر عند البدو الجزائريين : (ألكسندر جولي)

---

[1] – العدد الأول.1856.ص5. (Revue Africaine).

[2] – محمد يحياتن. دراسات حول اللغة العربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2005

القصيدة الأولى:

أملا النـاس الى بـي	ساكنين السد الوعـر
طاعنين الأوطان القبليـة	نـاس فاطنة زهو الخاطـر
نفضت دماغي الزيديـة	حبها على قلبي جـوار
في الضمير ناره مقديـة	بي فاطنة طير مزعفـر
السراب شوش عينـي	النجوع عرو الموكـر
فاطنة جدي الأدميـة	داوية على الصياد جعفر
قاع من زدم للهميـة	جاوه نجوع بصمايم تنحر
سافلين عنها حتميـة	سورجير و الباب مسكر
زايدة على قلبي كيـة	طابعتها المرود فوق الشفر
قاع ما تعشيها البيـة	و من أين تركية تخـنزر
ركب الحمامة الطوبيـة	ماشيين بها في طـوزر
الشليل و النحريـة	و الزمان عاد على غـدار
في النجوع ما قعدت نية	خاطري من القلب يسفسر
البنات عقبو الثنيـة	مؤمنين تفاح وَ عنبـر[1]

هذه القصيدة مجهول صاحبها او كاتبها جمعت في مارس 1900 بواد لحمر بالقرب من حاسي متداغين جنوب شرق مدينة الأغواط على لسراج أحد الأهالي أولاد سماعين (الشعابنة القبلية) المسمى باعفو بن سليمان تعود إلى أحد الأهالي من محيط ورقلة.

هاته القصيدة لا تكشف عن عمق الاهتمام الذي دأب المستشرقون الفرنسيون على إبرازه من خلال الشعر الشعبي و ما جاءت به قرائح البدو الجزائريين.

هذه القصيدة تعالج موضوعا وصفيا و حاله محب اتجاه مجموعته و مكيف أنه استطاع أن يعبر عن حالته الشعورية التي تتبعها المستشرف الفرنسي و عايشها كلمة كلمة و لفظا لفظا.

---

[1] – العنوان الأصلي للدراسة هو:

Alexandre Joly, Remarques sur la poésie moderne chez les Nomades algériens, Revue Africaine, N°47, 1903.P171.194.

فمن خلال هاته القصيدة نستكشف كيف أن المستشرقين الفرنسيين استطاعوا أن يخضعوا الثقافة و التراث و التاريخ الجزائري إلى الدراسة و البحث، و المعاينة من خلال مجالـــه الأهـــالي و تـــدوين موروثهم الشعبي فالمجتمع للمجلة الإفريقية يلحظ أن المستشرفين الفرنسيين قاموا بدراسات مستفيضة في جميع المناحي التي تخص المجتمع الجزائري.

و من خلال هاته القصيدة أيضا نلمح كيف أن الباحث تتبع كل الألفاظ و خصها بالتحليل و الفهم و تنم عن معرفة واسعة بالجانب اللهجي و تعدد اللهجات و كذا معاني الكلمات من منطقة لأخرى فمثلا في البيت العاشر وردت كلمة "البية" و تعني أنثى الأسد "اللبؤة" لكن المستشرق أورد معنى آخر و هو أنه في تونس و جنوب قسنطينة ترد كلمة "البية" حاملته لمعنى الملكة: أنثى الباي.

إضافة إلى ذلك "مومنين" في البيت الرابع عشر استخرج منها الفعل و منها بمعنى تفوح الرائحة تحملها الريح من بعيد. و كذا 'ومان" التي تعني نجمة الصباح.

هذه النماذج من الألفاظ التي ركز عليها في جمعه لهذه القصيدة شقناها ايضا لعميق الارتبـــاط الذي دأب المستشرقون الفرنسيون على تناوله من خلال دراساتهم و أبحاثهم في هاته المجلـــة الـــتي لا ننكر دورها الجم في نفض الغبار الذي خيم على تراثنا الفكري و الثقافي و إبرازه في شكل سلـــسلة أبحاث و دراسات لا زالت بحاجة إلى مزية تنقيح و إثراء من خلال مراكز متخصصة و جادة.

القصيدة الثانية: (هي عبارة عن مناظرة سواء) كان الموضوع واقعيا أو من مواضيع الخيال.

شجار بين امرأة و غزالة:

يا مرقوم الريش اسعانـــي.

حشمتك أدي عنوانـي.

نغدالي لسبب أمحانـــــي.

الطفلة لي أعشقها جنـي.

منها رحـــت مكيـــــن.

تتعاشى هي و السينـي.

يتلادوا في الزيـــــــن.

قال لها باش تلادينـي.

يا جاهلـه العيـــن.

قالت له فتك بمخبـل.

و وشام على الزنـاد منيل.

من نعـت ثعبيـن.

قالت له فتك بالشهـرة.

و مجلاسة أولاد الكبراء.

و وغشـن قصاريـــن.

لا من فـاز بلا حرمـة.

تل الطـلبـة العلمـاء.

إلـى قراوا ستيـن.

هذه القصيدة تعود لصاحبها المسمى **دحمان بن معوز** من ستين جنوب وهران، و هناك رواية بل روايات أكثر و كلها تنسب إلى التل الوهراني و في غرب التل الوهراني. تعود إلى أولاد محمد من معسكر.

لقد عمد المستشرق م خلال تدوينه لهاته القصيدة إلى تجزيئها، اعتماد شرح ألفاظها من تتبـع معاني كل لفظ من خلال البيت الشعري و اعتماد دلالات و معاني أخرى للفظ الواحد إضـافة إلى أنه ينبئنا بعمق الارتباط الذي نسجه مع هؤلاء البدو و كذلك إلمامه باللهجيات المغاربية على اعتبار أن اللهجة ل يمكن تحديدها لجهة معينة فكما أن اللغة حمالة أوجه فكذلك اللهجة يمكن أن تتميز بهاته الخاصية كما و ضما ذلك في سياق ملاحظاتنا على القصيدة الأولى.

القصيدة كما أشرنا هي في فن المناظرات و القارئ لهذه القصيدة يجد انها في باب الفخـر علـى اعتبار ان كل واحد يسعى الى إبراز تفوقه على الآخر.

فلا غرو عندما نقف على هذا التراث الفني الذي حمل هؤلاء المستشرقون على إبرازه: إخراجـه إلى حيز النور أن نشبه بعظيم الجهد الذي قام به هؤلاء من خلال دراسـاتهم و أبحـاثهم في المجلـة الإفريقية التي تحوي الكثير من الدراسات اللهجية سواء نثرا أو شعرا.

اعتمد المستشرق الفرنسي على فهم هاته القصيدة بالاعتماد على معاني الألفاظ و إبراز معـــاني أخرى يمكن للكلمة أن تحوز عليها.

كلمة **جوّار** و جاءت بصيغة المبالغة و مردها إلى اللغة العربية حائر بمعنى **ظالم**.

كلمة "**قاع**" و هو لفظ بمبلغ عند البدو بمعنى "**كل**" ثم كلمة "**زدم**" و هـــي مرادفـــة في الأدب العربي لكلمة "**صدم**" و يشرح معناه بقوله أنه يعني الإقدام نحو الشيئ أو الدنو من الشيء لا بمعـــنى مهاجمة و الاندفاع للهجوم.

- **وكّر** و هي الفعل **وَكَرَ، يُوكِرُ، توكيرًا**: الطائر اتخذ وَكْرًا، يقول قيس بن الملوح:

كأن فؤادي حين جد مسيرا جنـــاح غـــراب رام نهـــضا إلـــى الوكْر

ففي اللهجيات المحلية نقول "**سبايب**" جمع "**سبة**" بالمعنى سبب و جمعها أسباب "**محاين**" جمـــع "**مِحْنة**" بمعنى محنة.

شرح ألفاظ القصيدة الثانية:

أورد المستشرق كلمة "**اسعاني**" و هي مرادفة في اللغة العربية لكلمة **سعى، يسعى، ســـعيا** إلى الشيء قصده، قال الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا نودي إلى الصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله"[1]

و تبعا لذلك ساق المستشرق شرقا لكلمة ميشومة و هي في اللغة العربية مرادفة لكلمة "وشم- يشم-وشما الجلد غرزه بإبرة ثم در عليه النيلج كي تتخذ الخطوط المرسومة لونا أخضرا.

و ضمن شرحه لمعاني الكلمة اعتبر أن كل المصادر المتشابهة أو الهمزية ياؤها تضعف بعد حرف "م" مثل ميكول، ماكول- ميخوذ، مأخوذ- ميجوع، موجوع.

---

[1] – الآية : (9) من سورة الجمعة

سوط من تسوط بإدغام "ت" مع "س" الأفعال بصيغة "أفعل" تعوض غالبا أو دوما إلى الصيغة "تفعل" عند البدو إذا كان الحرف الأول من حروف أو الاستفعال مثال أزوج من تزوج- أتسبب من تسبب- اداعى من تداعى- أذكر من تذكر.

كما يقف في شرحه لهاته الضيف اللهجية ليؤكد أنها موجودة في اللغة العربية، في القرآن الكريم في سورة سبح إذ نجد "...سيذكر من يخشى...."[1] كلمة سيذكر من سيتذكر و من خلال استشهاده بالقرآن الكريم، ما يماثلها في اللغة العربية من ألفاظ يمكننا القول أن المستشرقين الفرنسيين عملوا على إتقان اللغة العربية و آدابها بما يسهم في دراسة تراثنا الفكري و اللغوي إذ أن اللغة هي مفتاح فهم الشعوب و المجلة الإفريقية زاخرة بهاته الدراسات في كل ميدان من ميادين البحث.

قصص بدوية:

الله أفقره و أنت اغنيته

سلبه الحياة ..... فهل تعيدها إليه؟

تحت خيمة الشيخ امتدت السهرة و كل قال كلمة الفقر من الله و الغنى كذلك أردف أحدهم، إذا أراد الشيخ أغناني لكن خيم السكوت عند تصريح الثالث أنصتوا لهذه القصة ستنوركم فبدأ:

أنتم من تحبون النبي صلو عليه الفقير عنده من لا يملك رغيف طعام قال لزوجته "نحن أيتها المرأة الصالحة نشفى طول السنة دون إطعام أنفسنا من جوع أو كسوتنا نغادر هاته الأرض و نبحث عن أخرى لعل رحمة الله تعيننا"ذهبوا، مشوا أياما و ليال داعين النبي المجتبى وصلا اخيرا إلى فارس إلى أرض شيراز.

بعد استراحته ثلاثة أيام قالت الزوجة لزوجها "لعل في هاته الأرض شيئا يمنحنا أو يعطينا ما نعتاش به"

---

[1] – الآية: (10) سورة "سبح"

في الصباح الباكر مثل الرجل أمام الشيخ حياه و خر تحت رجليه وقف الشيخ و رد عليه التحيةو ناوله القهوة سأله: "من أين جئت يا فتى؟"[1]

لقد قيل الكثير في كرمك جئت طالبا عونك و حمايتك.

هنا لا يوجد عمل، الله منح القاطنين عينا تدر قطرة ذهبا باليوم كل واحد من هؤلاء لك حظك مثلهم" ثم أعطاه قفة تمر و كيس دقيق و أمره بالعودة بعد أربعة أيام.

عاد في الوقت المحدد أمره الشيخ بمرافقة العبد ليدله على العين و تركه ينتظر سقوط قطرة الذهب.

صاحبنا جلس صابرا فإذا بالشيطان يدلي له بفكره أمسك بعود خشب حتى يوسع منبع العين لا شيء خرج و غاصت الغصن و مغلقة مكان جريان الماء.

خاف أن يقتل من المكان هرب مع زوجته صارخا "لقد أنحبست العين"

بعد عشرين يوم من المشي وصلا إلى بغداد و وجدا ملجأ في العنوان أرسل البدوي زوجته لاستقصاء الأمر.

البائسان ظلا على تلك الحال مرددين "لقد أنحبست العين"

في أحد الأيام تخفى السلطان في حالة درويش مع وزيره، و مرا على مساكن المدينة سمعا صراخا شاهدا الدماء تسيل من صدورهم "إذهب أيها الدرويش، دعك من أمرنا...."

الح و وعدهم، فقصا عليه قصتهما من البداية إلى النهاية قال الدرويش "اذهب راشدا، غدا إيتي إلى السلطان لن يرد لك أمر"

ذهب الرجل إلى القصر و أدخلوه و منحوه مالا.

---

[1]— **Conte Bedouins, Revue Africaine vol65.1924.Qas. CommandantMalingo Directeur de l'école d'interpretationde Damas** مدير مدرسة دمشق للترجمة

عاد الرجل : خبأها في كيس مليء بما يحدث صوتا وذهب إلى السوق عادت زوجته و باعت الكيس إلى أحد الباعة فسألها عن الكيس قالت له "بعته إلى أحد التجار".

أخبرها أنه وضع ألف قطعة نقدية لنذهب و نضرب صدورنا و نردد "لقد أنجبست" "لقد أنجبست"

لكن الدرويش مر و علم بالأمر و نصحه بالعودة إلى السلطان.

صاحبنا ذهب و قبض أربعة آلاف و وضعها في قربة ماء عادت المرأة من المطحنة أفرغت القربة في النهر، فلما عاد الرجل استفسر فقالت له رميت كله في النهر.

البكاء الصياح الضربات تتالى سمع الدرويش أصواتهم صياحهم فسأل عن مصيبتهم ثم أمره أن يعود إلى السلطان ملاها له مالا، و في أثناء عودته سقط الرجل على لوحة تبللت بالمطر و انحلت عقدة الصرة فخنقته.

مات الرجل وصرته مملوءة بالمال و يده تمسك بورق كتب عليه الله أفقره الرجل أغناه سلبه الحياة دع الرجل يعيدها إياه

كيد النساء (Sur la constance des femmes)

كان هناك أمير يحب زوجته.

أيها الأمير تحبني سألته ذات يوم بالطبع أحبك، "نقسم ألا نتزوج إذا مات الواحد منا" قبل الزوج و أتى بالمصحف إذ أقسما الإثنان على ذلك وصل الخبر إلى أسماع الناس و انتشر سريعا.

أحدهم يدعى "حمود" أراد أن يجالس زوجته فردت عليه "أنت لآ تحبني" إذا أردت إصنع معي ما صنعه الأمير مع زوجته و أقسم بذات القسم على المصحف لا امن النساء عليك اعترض حمود، الرجال طبعهم الخيانة.

إنهن النساء تريدين أن أثبت لك ذلك.

كذب على كل البراهن كل واحد منا على قطيعه.

و سآتيك بزوجة الأمير هنا و ترينها رأي العين"

في اليوم التالي أرج حمله و ذهب إلى المدينة فاشترى عطرا فواحا ثم يمم شطر الأمير.

وجده قد ذهب إلى الغزو طنا أنه جائع فأمرت المرأة بالأكل لكنه أبى و رفض كل شيء فأخرج أغراضه و صنع قهوة خاصة رائحتها و نادي الخادمة لتمنح سيدها كوب قهوة.

ذاقتها المرأة فأعجبت بها و صرحت أن الأمير وحده م يملك أن يتذوق هاته القهوة اللذيذة.

حضرت المرأة لتستفسر رفضه أكل الطعام

فأخبرها حمود أن جماله مع الرعاة و جاء في إثرهم.

سألته كم عددهم؟ عشرة آلاف مقدما مراهم مملوء و عطور فواهة.

طال الحديث ثم سألها أين الأمير؟

في الغزو لا أدري أميت أم حي؟ أريد الذهاب معك لكن أنا لا أريد ذلك.

إذن أصيح منادية كل البدو و أخبرهم أنك كنت تريد النيل من شرفي.

لنذهب مع بداية الليل و في أثناء الطريق نصب بها خيمة لوحدها.

عاد الأمير من الغزو فاشتدت صبابته عندما وجد الخيمة فارغة من أهلها.

عشرة أيام و الدموع لا تفارقه فكر في كتم ألمه بالنفر و الابتعاد.

الله أو الصدف ساقته إلى حمود رحب حمود به و واساه و عرض عليه أمه للزواج.

الأمير تمسك بقسمه و رفض و شرح أمره.

الله خيرك بين أمرين إما الزواج بأمي أو الموت تكلم حمود غاضبا.

أمر بالقاضي ليصيغ عقد الزواج الذي تقرر أسبوعا بعد ذلك حمود أنذر الامير بضرورة قتل أمه و الأم وضعت الأمير في موقف صعب إذا دفعته إلى قتل ابنها و إلا فإنه لن يقربها أبدا.

تسلل الأمير إلى خيمة حمود و خابت ضربته إذ لم يكن حمود بل ملابس حمود في هيئة آدمية ظهر حمود فجاة مع زوجته و زوجة الأمير الثانية.

أنظر أيها الأمير كيد النساء وضعت ثقتك و أقسمت لها الا تتزوج بأخرى.

و ماذا تقول في أمي التي لم تتردد في دفعك إلى قتلي.

هيا أيها الأمير أنعم باخلاصها

هذا الموقف دفع الأمير إلى قتل زوجته الأولى و قتل حمود أمه اما زوجة حمود لم تستطع بدا من دفع ثمن الرهان و عاد الأمير مقتنعا بكيد النساء.

III / ملاحظات حول الشعر المعاصر لالكسندر جولى

في هذه لدراسة يقف ألكسندر جولي على نماذج من الشعر المتداول عند البدو أثناء رحلته إلى عين صالح في الجنوب الجزائري و يبرز لنا لموضوعات التي اهتم بها شعر البدو.

منها مثلا الزغوية، الفم، المرح، القول، الهجرة، القطاعة، العيدين الغناء.

و اعترف ألكسندر جولي بصعوبة إيجاد تعريفات إلى هاته الألوان لما تتسم من نقاط التشابه الكثيرة حرص على الاستيضاح و الاستئناس بشروحات أحد الفرسان (القومية Les Goumies).

القول:

هو شعر قصير قصير تصاحبه موسيقى شعرية و ليست أغنية حقيقية و يمكن أن يعالج أي موضوع ما عدا الهجاء أو ما يرادفها بالعامية الهجوة، و كذا ذكر الله و ... الصحابة إذ يعتبر مدحا و هو عادة يأتي ارتجالا.

مثلا: ڤلبي ڤلبي باغي الدنيا مستعفى

و عربان شأو الخريف محدورة لتقبال

ڤلبي باغي النياق من الحمر الطايقة

عشرات و خلفات يتزلڤزوا على الذنبال

ڤلبي باغي ركاب بيت الله زائرة

و مشرقة للنبي المختار

ڤلبي باغي صفوف تصلى محربة

و عشوراء و جمعة الأثنيان أفضال

قلبي باغي الإخوة متطوعة

و يقدموني عنهم أنا الأكبر

قلبي باغي عودات مزلقة

تقيم مشايق في وسط الغذال[1]

النمّ Le Némm:

هو أحد أنواع الزغوية و يحتوي على عدد قليل من الأبيات في القافيـــة متداخلـــة في بعـــضها البعض.

و النمّ كالسكون و إظهار لما يعانيه الفرد من أوجاع و آمات.

مثال:

يا ربي يا إله يا عالم المقدر

سلك الواصلين في يوم الشدة

ألفي بيني و بين و لفي مسعودة

هنوني يا رفاقتي ما طفت علاه

حتى الصحراء اليوم راها مجدوبة

حتى عودي معلمه ديما هواه

كتاف من الشراء آخر دواه

رب نبغي حياء كل فج نسير معه

مرة نتوضه على طرف الجلبة

ألفى يا ريم بيني و بين ولفي مسعودة[2]

---

[1] – كاتب هاته القصيدة هوسى بن حرز الله من قبائل الحرازلة بالجنوب الجزائري.

[2] – صاحب هذه القصيدة بوزيان، أولاد يعقوب زرارة جبال عمور من أولاد فاطنة.

الڤطاعة: La Guethaâ:

هي أحد فنون الشعر الشعبي و هي غناء الطريق و الأصل تقطع بها الطريق تخفيفا من وعشاء و مشاق السفر.

مثال:

أنا في طيطرى في بلادك يا سفوان

و نطالع للجبل غير بعيني

من وحش الريم إلى جات في ڤاسي الأوطان

بين الكيفان في القصور الغربية

نركب على سابڤي نسرج على الأذان

خذ القهوة على يمين الجراية

أقصد للفيلاج خلق بلاد الصوان

حرج القهوة على السني و فراش ألوان

خدام يحاربوا بصباح و عشيا

بكر في الدماس قدام الحمان

و لاك الفج ادهم أطراف الضاية1

تقرير حول الدراسات البربريةو الهاوسة

من الدراسات التي نشرت في المجلة الإفريقية و ذات علاقة بالدراسات اللهجيـــة دراســـة روني باسني حول البربرية و الهاوسة.2

---

[1] – كاتب القصيدة هو سي بن بوزيد بن الحاج بلقاسم قصر سيدي بوزيد جبل عمور.

[2] – **Rapport sur les études Berbères et Haoussa N°52.1908.P243-264.**

رغم أن المستشرق الفرنسي قدم دراسة في إطار مؤتمر المستشرقين الخامس عشر المنعقد في كوبنهاغن بالدنمارك.

حيث أشار إلى تأثير الفتح الهلالي الذي شهده المغرب العربي في القرن الحادي عشر الميلادي و قدم نقدا لبعض الدراسات التي قام بها بصفة المستشرقين أمثال فريد ريكو مينوتيلي (Frederico Minutilli) كما أثنى على بعض الأعمال التي أنجزت من خلال كتاب (النحو القبائلي) (La grammaire Habyle) لمؤلفه هانوتو (Hanoteau) و قواميس بروسلار و أليفي Brosslard et d'olivier)في هاته الدراسة التي قام بها روني باسي وجدت أن المستشرقين الفرنسيين اهتموا كثيرا باللهجات المحلية و اعتمدوا اعتمادا شديدا على مدونات بعض الضباط الفرنسيين الدين احتكوا مباشرة مع الأهالي و السكان موضع الدراسة.-

و من هؤلاء النقيب ميتوا (Metois) الذي عني باللهجات الصحراوية مثل التارقية و قدم بعض الترجمات اللفظية المسميات الشائعة و المستعملة عند السكان التوارق1

لكن ما ينبغي أن أشير إليه هو أن الدراسات اللهجية التي قام بها المستشرقون الفرنسيون كانت ذات بعد أكاديمي علمي لكنها استغلت من طرف الاستعمار الفرنسي من خلال البعد الثقافي و الفكري للجزائر. و معظم الدراسات التي أنجزت و نشرت في المجلة الإفريقية ما تزال تحتاج إلى دراسات و بحوث جادة تتسم بالبعد النقدي. و لعل الدراسة التي قدمها روني باسي (Rene Basset) حول اللهجة البربريةو الدراسة السالفة الذكر ضمنها إشارة هامة لدراسة لغوية قام بها

---

[1] – **Notes sur la transcription en Français des quelques dénomination usitees chez les touaregs. La revue Africaine N°48.1904.P132.141**

شارونسي (Charency) و عنوانها "كلمة باسكية أصلها بربري.1 و اعترف أن كلمة القنـــدورة (AlKendoura) أصلها بربري (Tak'andourt) تاقندورت.

وة لعل هذه التضمينات تتيح لنا الوقوف على الاهتمام المبالغ للمستشرقين الفرنسيين للدراسات اللهجية و اعتمادهم على منهج المقارنة العجمية لإبراز أوجه الاختلاف و الشبه بـــين اللـــهجات و كذلك التطور التاريخي للكلمة و هناك منهجان معتمدان في الدراسات اللهجيـــة و هـــو المنـــهجي التحليلي (Synchronic). و المنهج التاريخي (Diachronic).

إن صناعة المعاجم و اللسانيات و المنقوشات و التاريخ الـــديني و التحقيقـــات و الترجمـــات للنصوص الأدبية و التاريخية و الجغرافية و القانونية و العلمية و الإثنوغرافيا و الفلكلـــور و الكتـــب المدرسية هي المجالات التي عني بها المستشرقون الفرنسيون في الجزائر.

فبالنسبة للغة و الإثنوغرافيا من الأهمية بمكان إجراء تخريات منهجية و هذا في مختلف الجهـــات حول العادات و التقاليد و اللهجات المحلية.

إذ يمكن الإشارة إلى الدراسات اللسانية و الإثنولوجية حول أصول البربر و التي قام بها المستشرق رين (L.Rinn)2. حيث عني بالجوانب الصوتية البربرية و كذلك كتابة الحروف باستعمال حروف التيفناغ (Les Tifinars) و خلص من خلال هاته الدراسة إلى أن البربرية تذكره باللغة الألمانيـــة الزافرة بالصوت (TH) الموجود في اللغة الإنجليزية. و كذلك الصوت المأخوذ من الإسبانية كما أنه أعطى رؤيته حول أصول السكان البربر إذ أنا إلى الجنس الطوراني من آسيا فهاته الدراســـة مقدمـــة لفرض حقائق لغويةو جغرافية لذلك كاد لزاما أن يضطلع بهذا العمل ذوي الاختصاص في اللغـــة

---

[1] – **M .Charency. Un Mot Basque d'origine Berbère.**

[2] – **Rinn (L), Essais d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères N=25 Année 1881.**

البربرية و التركية و اللغات الرومانية (Langues Romanes) كما أنه من الأهمية كذلك الإسراع في وضع قاموس لعربية الجزائر.و أستطيع أن أجزم بأنه لا يمكن تصوره بمنزل عن أطلس لغوي للجزائر يكون بالنسبة للهجات العربية بمنزلة أطلس الحفريات لجسل (Gsell Atlas) archeologique بالنسبة للآثار القديمة جدا.

فالدراسات التي قام بها المستشرقون الفرنسيون تحتاج إلى تحقيق دقيق و إعادة النظر فيها من حيث دقتها و شرحها خاصة الترجمات التي قاموا بها من خلال احتكاكهم بسكان الجزائر.

-I/ un conte de Blida

هي جزء من دراسة قام بها ديسبارمي (M.Disparmet) حول اثنوغرافيا متيحة و جمع فيها حكايا من البليدة.

فالمستشرقون الفرنسيون قاموا بتحريات حول المشهد الثقافي لأغلب مناطق الجزائر و هذه دراسة توثيقية للجوانب الثقافية و الشعبية الموجودة على مستوى سهول متيجة.

الدراسة التي قام بها ريني لسبس (Réné lespés) هي حول أصل كلمة "Alger" الفرنسية التي ترجمت إلى الجزائر و تغوص في التطور التاريخي للكلمة على اعتبار مرور العديد من الغزاة إلى الجزائر. امتلاكهم للغات أثرت أو تركت آثارا لغوية بارزة في الواقع اللغوي الجزائري خاصة الإسبان، الإيطالية.

و خلص إلى أن القرن السادس عشر الميلادي شهد ظهور كلمة الجزاير من طرف الجغرافيين و علماء اللغة.

II. Du Mast (R.H Sur la vraie prononciation du Par M.C.P) vol2.1857.1858

هي دراسة صوتية أو أعطت إشارات إلى أن نطق الحرف "غ"له تقاطعات مع لهجة باريس و لهجة مارساي.

III.Les influences puniques chez les berbères R.A N62 Année 1921 (P.340.374)

و هي مأخوذة من كتاب التاريخ القديم لشمال إفريقيا و تصب في اتجاه علم الجغرافية اللسانية (Geographie linguistique) تعرض فيه إلى الاحتكاك الذي وجد بين الفينيقيين و البربر و قدم القرن الثاني عشر على أنه شهد بداية الاستيطان الفينيقي في إفريقيا.

من الدراسات التي قام بها المستشرقون نجد دراسة كانتينو (Cantineau) 1899-1956 اللغة البربرية في الأقاليم الجنوبية التقسيم-الدراسات-الملاحظات.1

له عدة دراسات منها الجغرافية اللغوية للعربية العامية في الجزائر. العامية العربية في محافظة الجزائر و في أراضي الجنوب.

فاهتمامه باللهجات المحلية راجع لكونه كان أستاذ الفقه اللغات العام و اللغات السامين في كلية الآداب بالجزائر.

ففي دراسته المشار إليها آنفا. قسم شعوب البربر في أقاليمك الجنوب إلى قسمين و هما البدو الرحل في الجنوب و سكان الشمال.

و أعطى نماذج من الجنوب مثل القصور في وهران و من المشرية إلى بيني عباس، عسلة، شلالة الظهرانية، بوسمغون، تيوت و غلب على الدراسة الجانب الوصفي للتداخلات اللهجية و إبراز التأثير الجغرافي في هذه اللهجات بدون إبراز أمثلة لغوية تقوي جانب البحث الذي يرتكز على اللهجات البربرية كما نجد أن السمة التي غلبت على الدراسات الاستشراقية الفرنسية هي ذكر التأثيرات الفينيقية و المسيحية و الإفريقية على الأمازيغية فكتب هنرى باسي عن التأثيرات الفينيقية لدى البربر كما أن دراساتهم ركزت على وصف البربر و إبراز لهجتهم ملابسهم آواني البربر حلى البربر الوشم عند البربر و غيبوا الجانب اللغوي و المنهج العلمي الأكاديمي في هاته الدراسات و يكاد يجمع جل الباحثين أن الاستشراق الفرنسي ركز على هاته الدراسات المنتقاة و هي دلالة على رؤية استشراقية

---

1 – المجلة الإفريقية

فرنسية تتحكمها أهداف واضحة فالمستشرق الألماني نولدكه و هو ينتمي للمدرسة الألمانية و هي الأكثر تفتحا و الأقل تلطخا استعماريا من نظيرتها الفرنسية، يقر بأن مهمته في الرد كانت تهدف لإثبات "المنزلة الوضيعة" للشعوب الشرقية.

إذا كان هذا ماكان يهدف إليه الاستشراق الألماني فإلى ماذا كان يهدف الاستشراق الفرنسي الأكثر تورطا استعماريا و الأكثر تزمتا ثقافيا و فرانكوفونيا و ماذا يبقى له أن يقول أكثر مما قاله نولدكه.1

هناك أيضا دراسة لهجية قام بها المستشرق ميشال بللوت و الموسومة دراسات بربرية حول اللغة البربرية حول بريكة.2

و هي دراسة تعرض إلى لتأثير اللغة العربية على اللهجة الأمازيغية في منطقة بريكة و قدم إحصائيات عن السكان البربر مقابل السكان الأمازيغ، و اعتمد فى هاته الإحصائيات في تدوين رأيه بأن اللغة العربية زاد تأثيرها على اللهجة الأمازيغية و وضع جدولا آخر حول أسماء الحيوانات الذي قام به أندرى باسي للتدليل على أن اللهجة البربرية لا زالت باقية عكس ما سمعه من المتكلمين بأنهم يفضلون اللغة العربية ذلك أنها اللغة التي تمكنهم من التخاطب مع الآخرين و خلص إلى أن اللهجة الأمازيغية لا زالت لم تندثر و إن كانت حبيبة

الاستعمال فئات محددة من السكان كما أن اللافت في هاته الدراسة أنه لم يعطيها بعدا علميا من خلال استقصاء الاختلافات اللهجية بين السكان و ما هي هاته العناصر التي أثرت في بطء انتشار اللهجة الأمازيغية.

---

[1] – **Revue Africaine N85 1941.P62.73.**

[2] – **Michel Plault, Etudes Berbers, Revue Africaine, 1946.**

كما أنه تميز بالابتعاد كلية عن التحليل و إخضاع هاته الظواهر اللهجية إلى التحليل و إعطائها حقها من الدراسة العلمية المستفيضة و استعمل عبارات دالة على أنه كان فقط بمثابة الناقل أو المعاين فمن خلال قراءتي لهاته الدراسة وجدتني أمام مستشرق يسعى إلى إيجاد موانع لغوية أمـــام الـــسكان العرب و الأمازيغ.

فالدراسة في الحقيقة افتقدت الجانب المنهجي في أي دراسة لغوية ألا و هو البحث في الظـــاهرة بحد ذاتها دون الغوص في الجوانب السياسية و الفنية التي توحي للقارئ بأن المستشرق اعتمد علـــى عنوان لغوي لجذب اهتمام القارئ في حين أن الموضوع بعيد في جوهره عن الاهتمامات اللغويـــة أو اللهجية للباحث كما أن معظم الباحثين يجمعون على أن المستشرقين الفرنسيين اعتمدوا على بحوث منتقاة و افتقدوا أدوات دراسة أي ظاهرة لهجية أو التطور اللهجي لأي لهجة محلية.

الدراسات العربية في الجزائر (1830-1930) هنري ماسي[1]

يبتدئ تاريخ الدراسات العربية في الجزائر بوصول الجيوش الفرنسية سنة 1830. و كما حصل مع الحملة الفرنسية على مصر رفقة صاحب فريق من التراجمة و الجيش الذي كـــان علـــى رأســـه دوبورمون De Bourmant خلال العمليات العسكرية التي أدت إلى الاستيلاء على الجزائر قدم عدد من هؤلاء التراجمة خدمات جليلة و إن لمن الاجحاف عدم الإشارة إلى أسمائهم هنا (يمكن الوقوف على سير حياتهم في كتـــاب فـــيرو Feraud (الموسـوم= Interprètes de l'armée d'Afrique).

كان جورج قاروي George Garoué (أو بوجاس جيارفي Buzas Giarve ســـرج أسكر Esquer) ذو الأصل السورى يتحدث بالعربية بطلاقة و لما كان غير هياب مـــن الخطـــر،

---

[1] – **Henri Massé, Les - Etudes arabes en Algérie (1830-1930 Revue Africaine, N°74.1933.P248.**

أمكن الحصول على رخصة مكنته من مخالطة الأهالي و حملهم على التفاوض و يقول فيرو بأنه وزع عليهم نسخا من تصريح، دوبورمون المترجم إلى العربية بعد إلقاء القبض عليه و اقتياده إلى الجزائر. بين الداي عظمة الجيش الفرنسي و حثنا على الاستسلام. غضب الداي ايما غضب و أمر بقتله أما زميله ليون أياس Leon Ayas (من مرسيليا)، فكان أحسن حظا، إذ توصل بعد معارك اسطاوالي إلى الشروع في مفاوضات سلمية مع العرب بالنسبة إلى لويس دوبراسفيتس Louis de Biacevitz المولود في راقوزا في حوالي 1772، فقد شارك في حملة مصر بعد الاستيلاء على فورت لامبرور Fort l'Empreur، تقدم رسول من الداي إلى المراكز الفرنسية المتقدمة. كلف براسفيتس، رغم كبر سنه بالمثول أمام الداي ليقرأ عليه شروط استسلامه و مناقشتها معه، و قد روي كل من فيرو Feraud) و ج.أسكر (Esquer) هذه الحادثة الشبه المأساوية .

هناك معجمان عربيان وضعا في متناول ضباط الجيوش الغازية أو لهما مشفوع بحوارات و قد وضعه الترجمان بينامين فانسان (Bonjamin Vincent) نشر بأمر من وزارة الحرب، أما الثاني فصاحبه إبراهيم دانيونس (Ibraham Daninos) المولود بالجزائر و المتجنس بالجنسية الفرنسية الذي كان يتولى مهام الترجمة بمحكمة التجارة لنهر السين. يقول فيرو عنه: "لقد وضع عدة مصنفات باللغة الفرنسية العربية و بعد ان عين دليلا و ترجمانا أصبح أعظم عون فرقاطة(Frégate-pilota).

أما الإعلان الموجه للعرب من قبل دوبورمون و هو نص هام للدراسات الاستشراقية الجزائرية- فقد ترجمه قبل توجه الجيوش الغازية جان شارل زكار (Jean charles Zecar) بمساهمة المستشرقين سلفاسر دوساسي (Sylvestre Desay) و بيانكي (Bianchi) كان زكار المولود في دمشق في 1789 اسقف كنيسة سانت نيكولا SaintNicolas و دون أن يغادر الأسقفية، عين ترجمانا للجيش و ظل مرتبطا يشخص الحكام العامين من دوبورمون إلى بيجو Bugeaud و عندما وضع تحت تصرف الأسقفية الجزائر في 1845، قدم دروسا في اللغة العربية خلال ثلاث سنوات هناك إعلان ثاني صادر عن الجينيرال دومورمون و موجه إلى الجيش الفرنسي

بإفريقيا قد ترجمه إلى العربية آلان ريش و نشر في الجريدة الأسبوعية (Le Journal Asiatique)، هناك مؤلف آخر كان قد أفاد الضباط الفرنسيين و هو المعجم الفرنسي العربي للهجات الدارجة الإفريقية Le vocabulaire français-arabe des dialectes africains d'Alger بالجزائر و تونس و المغرب و مصر الذي نشر المستشرق الكبير جان جوزي مارسيل في 1837 بباريس.

انتظمت دراسة اللغة العربية في الجزائر حقا في سنة 1838 تحت إشراف بريني (Bresnier) غير أن المحاولات الأولى حصلت في حوالي 1831 و قد عرضها كور (M Cour) من الوجهة الإدارية خاصة في دراسته الموسومة Notes sur les chaîres de langue arabe في المجلة الإفريقية لسنة 1924 بعد شهور من وصول الجيوش الفرنسية، مكن من إنشاء المكتبة العمومية بالجزائر من الشروع في تصنيف المخطوطات العربية التي سبق جمعها هنا و هناك من جهة أخرى كل مفتش من مفتشي التعليم العام بتنظيم –بشكر رسمي- دروس اللغة الفرنسية للعرب و دروس الفرنسية لليهود و دروس للغة العربية للفرنسيين كانت هذه الدروس عمومية و مجانية. أسند تدريس اللغة العربية للسيد جواني فرعون (Joanny Pharaon) و قد حظي بنجاح جم: لقد تطلب الأثر التخلي عن السجلات التي لم تعد تسع الطلبة المتهافتين على الدروس مرتين على التوالي كما اضطر فرعون مضاعفة دروسه. كان فرعون (جواني) ابن إلياس فرعون (من بعليك)، ترجمان الحملة الفرنسية على مصر، ثم أصبح كومت Compte الإمبراطورية و القنصل العام للجزر السبع (Sept îles) بمرسيليا، و كان جواني المولود بالقاهرة في 1803 الطالب القديم في معهد اللغات الرقية فأستاذ اللاتينية في معهد سانت بارب Sainte Barbe فأستاذ اللغة الفرنسية في المعهد المصري بباريس 1825. قلت كان في 1827 حاكما على الطلبة الضباط المصريين المتعلمين بمدينة تولون (Toulon). بعد ذلك عين في 1832 أستاذا للغة العربية في الجزائر خلفا للقبطي عقوب Agoub أستاذ اللغة العربية في ثانوية لويس لوقران (Louis-le-grand) الذي توفي قبل أن يتولى أستاذية الجزائر. كتب الدوق روفيقو (Duc De Rovigo) في رسالة (أعاد استنساخها

فيرو أنظر المرجع السابق، ص130): "أنشأت أستاذية لتدريس العربية للاوروبيين تحت الإشـــراف الذكي للترجمان العسكري جواني فرعون قصد تيسير التواصل بيننا و الأهالي" هناك أسطر أخرى من هذه الرسالة تبين كيف كان التصور العام في الجزائر "إن إيالة الجزائر لن تصبح ملكية فرنسية حقا إلا حينما تنتشر في ربوعها لغتا و تتأقلم فيها الفنون و العلوم التي هي مفخرة وطننا. إن سماء إفريقيا سماء الشعر و الأدب، لا يمكننا أن نشك في ذكاء العرب، و إن دعت الحاجة إلى ذلك فإننا سنـــستدعي التاريخ لإقامة الدليل على ذلك... إن المعجزة الحقيقية التي ينبغي أن تحدث إنما تكمـــن في إحـــلال الفرنسية محل اللغة العربية تدريجيا، فاللغة الفرنسية التي هي لغة السلطات و الإدارة من شأنها أن تنتشر وسط الأهالي و إني لعلى يقين بعد مدة قصيرة من الزمن الفرنسيين و الإيطاليين و الإسبان و العرب و اليهود يتحلقون حول نفس الأساتذة و في نفس الأوقات" و قد صدقت دراسة الدوق روفيقو.

في 1834، نصت المادة العاشرة من الأمر المتعلق بتنظيم العدالة في الجزائر على تعيين تراجمـــة محلفين و ملحقين بمصالح المحاكم. كلف جواني فرعون بتحرير تقرير حول "الاختلاف المزعوم للغة العربية و صيغ التحرير الواجب اعتمادها في الأحكام القضائية و ترجمتها و تعيين الأفراد و طرق قبولهم إما عن طريق الامتحان أو بكيفية أخرى (Moniteur Algérien, 11 oct1834) و هكذا أنشئ سلك التراجمة القضائيين في فيفري 1835.

كان لفرعون الشرف في نشر أول نحو للعربية الدارجة الجزائرية موجه للفرنسيين و ذلك ســـنة 1832 (Grammaire élémentaire d'arabe vulgaire ou Algérien à l'usage des français).

في السنة الموالية سعى إلى إشاعة هذه الدراسة بوضعه مصنفا مختصرا و مبسط و ميسر سماه (Traité abrégé de la grammaire arabe simplifiée et modifiee) بعد ذلك بقليل، نشر هونورادولابورت (Honorat de la porte) رئيس المكتب العربي بعمالـــة الجزائر. و ابن الترجمان جاك دوني دولابورت (أنظرفيرو المرجع السابق ص195) حكايات لقمان

Fables de Lokman, adaptées à l'idrome araje en usage dans) مقتبسه في إلى اللغة العربية المستعملة في إيالـــة الجزائـــر (1835) و (la régence d'Alger مبادئ اللغة العربية المستعملة في الجزائر (Principes de l'idiome arabe en usage à (Alger) 1936.

غير أنهما لم يكونا من المستشرقين بالمعنى الدقيق للكلمة رغم فضلهما و كـــان علـــى بـــريني (Brasnier) أن يخضع هذه الدراسات المنهجية و تقنية ملائمتين.

في 1836، تحولت دروس العربية إلى أستاذية للغة العربية.

و قد عين بريني في هذه السنة ذاتها أستاذ للعربية الدارجة على كرسي الأستاذية، حين تعيينه في هذا المنصب، كتبت جريدة (Moniteur Algérien) تقول: "إن هذا الأستاذ يـــتقن كـــذلك العربية الفصحى".

كان برينيي (لويس فاك) المولود في مونتاربيس في 1814 عاملا في الطباعـــة أولا، و خـــلا ل إقباله على مواصلة دروسه الكلاسيكية ليلا، أحب اللغات الشرقية و قصد باريس حيث اختلف على دروس سيلفاستر دوساسي و كاترمير (Quatremère) و جـــوبيرت (Joubert) و قارســـان دوتاسي (Garcinde de Tassy) و كوسان دوبرسوفال (Caussin de perceval) و ج.ج مارسيل (J.J. Marcel) عندما أستشير سلفاستين دوساسي عند إنشاء أســـتاذية العربيـــة بالجزائر عين برينيي.

افتتح برينيي دروسه العمومية رسميا في جانفي 1837 و قد نشر السيد كور المرجـــع الـــسابق حسب جريدة (Tloniteur Algérien) الدرس الأول لبرينيي بعد أن شكر جهود من ســـبقه في الجزائر و لاحظ النقص الشبه التام للمصنفات الخاصـــة بـــإقليم العربيـــة الدارجـــة (Arabe Barboresque)، و بعد أن نصح طلبته بمطالعة كتاب النحو (Grammaire) لكـــل مـــن أربينيوس (Erpénius) و دوساسي Desas)، أضاف برينيي قائلا: "هناك كتاب آخـــر يمكـــن الاستفادة منه و هو الطبعة الجديدة ل (Grammaire de l'arabe vulgaire) (نحو العربية

الدارجة) لكوسان دوبريسوفال بيد أننا نأسف بالنظر إلى الفائدة الخاصة لمختلف اللهجات،و مع ذلك فإن هذا الكتاب بلا ريب هو من أحسن المصنفات التي عنيت بالعربية الدارجة "بوجه عام" و ختم برينيي كلمته بتبيان مزايا الدارسة الجادة للغة العربية، إقامة علاقات أكثر حميمة مع الأهالي الذين يعتادون هكذا على: "اعتبارنا لا كغزاة بل كحماة لمصالحهم و كمتمرنين لأقاليمهم"،و دراسة أدبهم التي بفضلها يمكن بلوغ مصدر أفكارهم و أحكامهم المسبقة و عاداتهم، بعد هذه المحاضرة الافتتاحية، نشرت جريدة Moniteur Algerien)رسالة للمتصرف المدني برسونBresson (أوردها م.كور المرجع السابق) يلح فيه بشدة على أهمية دراسة اللغة العربية.

تولى برينيي الإشراف على أستاذية اللغة العربية إلى غاية وفاته: في 21 جوان 1869، عند دخوله المكتبة حيث كان ينتظره طلبته، سقط لافظا أنفاسه الأخيرة.

عرض برينيي طريقته في 1838 في مقال بالجريدة الآسيوية (Journal Asiatique) (في تدريس العربية بالجزائر، الجزء الخامس، ص485-493) كان يعتبر حقيقة أن سنة متخصصة للعربية الفصحى أمر ضروري للغاية قبل مباشرة دراسته العربية الدارجة. و كان تعليمه الأسبوعي مقسما بالكيفية التالية: ثلاث حصص للتمارين الخاصة بالعربية الدارجة، حصة نقدم فيها مبادئ النحو و الإملاء و الأسلوب، حصة لشرح النصوص العربية الأدبية و العلمية، حصة لترجمة الآداب و العقود الرسمية المتداولة. في السنة نفسها، سجل في كتابه الموسوم مبادئ اللغة العربية

Esquisse de la langue arabe parlée à Alger et dans la régence) d'Alger) .

المنطوقة في الجزائر و إيالتها، الصفات المميزة للهجة الجزائرية و قدم تفصيل عن الثقافة الفكرية للأهالي. لقد وضعت هذه المؤلفات وفق تعليمه ذلك لأنه كان أستاذا قبل كل شيء في مصنفه الموسوم Djaroumya (الاجرومية) نشر و ترجم النحو العربي لداوود الصنهاجي. إن مصنفه (Anthologie arabe élémentaire) كتاب مدرسي جيد تم التخلي عنه بدون وجه حق. غير أن برينيي بفضل كتابه (Chrétomathie arabe) (نصوص عربية مختارة) (1845) و هو

عبارة عن مجموعة من الرسائل و العقود و بعض الوثائق المعاصرة و كذلك بفضل كتابه (Anthologie arabe élémentaire) يستحق الإفلات من النسيان. ذلك أن هذين المؤلفين شكلا خلال العديد من السنين، و عن جدارة، أسس تعليم اللغة العربية في الجزائر.

إن الطبعة الأولى من كتابه هذا الذي تولى نسخه بنفسه بسبب نقص الإمكانات الطباعية" بعنوان (Leçons théorique et pratiques du cours public de langue arabe) (دروس نظرية و تطبيقية للغة العربية) قد لقي نجاحا جما كتب برينيي في التمهيد الذي وضعه للطبعة الثانية (1855) يقول (ص14): "إن الدراسات العربية في الجزائر لا يجب أن تقتصر، كما هو الحال في أوروبا، على الأبحاث المتعلقة بفقه اللغة و علم التاريخ و الأدب فحسب، بل يجب كذلك أن توفر أدوات فهم و توصيل جميع أشكال التفكير على نحو عفوي سواء أكان ذلك في المشافهة أو في الكتابة...في مستهل الأمر يجب قرن التطبيقي بالنظري اللذين يتعين على أحدهما إثراء الآخر. "و من أوجه التجديد الممتازة اعتماد نماذج الكتابة" مطبقة على جميع مباحث الأدب و الممارسة اليومية. ينقسم الدرس المدعوم بالأمثلة و النصوص المختلفة إلى ستة كتب: مبادئ في اللغة الدارجة، مبادئ مفصلة في القراءة، مبادئ في النحو و التراكيب و العروض و اللهجات.

إن الخدمات التي قدمها هذان الكتابان لا يمكن الاستهانة بها. من ذلك أنه حين كلفت لجنة، في 1842، بإعادة تنظيم سلك التراجمة العسكريين و تحديد امتحاناتهم، أمكن للعديد من تلاميذ برينيي الدخول في هذا السلك و كان للعديد منهم، كما سنرى ذلك لاحقا، أن قدموا إسهامهم في الدراسات العربية والحال أن برينيي بعد أن أسهم فعل في تنظيم هذا السلك (كان أمينا و محررا للجنة الامتحانات) كان يسأل في1855 أن ينظم هو نفسه إليه، و قد أمتدح نفسه على نحو غير إرادي في رسالة الترشح (آلية أوروبا فيرو المرجع السابق) مذكرا بتواضع جم شهاداته العلمية: "في جعبتي، خمس و عشرون سنة من الدراسات و ممارسة اللغة العربية و تدريسها، من بينها تسعة عشرة سنة و أربعة أشهر في الجزائر. كما أحذق بفضل دراسات جادة التركية و الفارسية أسست و بسطت تعليم

العربية في الجزائر من خلال تدريسي و من خلال العديد من الكتب. خلال التحضيرات لخوض حرب القرم (Le moniteur Algérien, 15 mars 1854) قدم بيرنيي دروسا في اللغة التركية للضباط الذين كان عليهم خوض هذه الحملة، و رغم الخدمات الطويلة، فإن الرجل لم يتمكن من تخطي القواعد التي تسمح بالحصول على رتبة عسكرية بحيث كان عليه أن يبدأ من البداية و يكون تحت أوامر طلبته القدماء.

و هكذا واصل برينيي نشاطه في مجال التعليم و نشر في السنة نفسها كتابه المعنون (Eléments de calligraphie arabe) الذي عرض فيه مختلف نماذج الخط العربي.

و أخيرا و في سنة 1867 نشر كتابه المعنون (Principes élémentaires de la langue arabe) و هو الكتاب الذي كان بمثابة وصيته العلمية.

و مما لا شك فيه أن كتب برينيي قد أصبحت قديمة، و مع ذلك فهي تمثل القاعدة التي انطلقت منها الدراسات العربية في الجزائر. و قد أحيا رينان (Renan) ذكراه في افتتاحية المجلة الأسيوية في العدد 14 ص22 و اعترف له بالفضل في العبارات التالية: "إن كتبه المطبوعة و التي يكتسي معظمها طابعا علميا لا يمكن أن تعطي فكرة صحيحة عن مدى عمق معرفته باللغة العربية الفصحى".

و بينما كان برينيي يقيم القواعد النهائية لتعليم اللغة العربية في الجزائر كان بيربروجي (Berbrugger) يرسي قواعد البحث في فقه اللغة العربية ولد أدريان بيربروجي في سنة 1801 و بعدما أكمل دراسته في مدرسة شارلمان الثانوية التحق بمدرسة شارت (Ecole des chartes) العليا و في سنة 1832 كلف بمهة البحث عن القطع الأثرية التي يرجع عهدها إلى زمن احتلال فرنسا في القرن الخامس عشر.

و بعد ذلك بسنتين سافر إلى الجزائر حيث شغل وظيفة كاتب للوالي العام كلوزيل (Clauzel)، قبل أن يرافق فالي في غزوته لقسنطينة التي شاهد احتلالها. و من مدينة قسنطينة عاد الكاتب حاملا معه عددا من المخطوطات العربية و هذه المخطوطات هي التي تشكل نواة المكتبة الوطنية الجزائرية التي أصبح أول محافظ فيما بعد.

لقد دفعت به ثقافتة الواسعة و حبه للاستطلاع في طريق للبحث بعيدا عن الدراسات العربية، و مع ذلك يمكننا أن نذكر دراسته الممتعة و الثمينة L'algerie historique pittoresque et monumentale و يجب أن نذكر أنه كان من بين الأوائل الذين عملوا للمحافظة على الآثار الرومانية.

مات بيربروجي بعد وفاة صديقه برينيي بأحد عشر يوما و ذلك في 02 جويلية 1869.

و المكانة التي تشغلها الدراسات العربية في كتب بيربروجي العديدة مكانة محدودة نسبيا فإلى جانب المقالات العديدة التي نشرها (راجع البيلوغرافيا) نحن مدينون لهذا الكاتب بعمل مهم، و هو ترجمته إلى اللغة الفرنسية لرحلة العياشي التي نشرت تحت عنوان:

(Voyages D'el-aïchi dans le sud de l'Algérie) و هذا الكتاب نشر سنة 1846 ضمن المجموعة الأولى للأعمال العلمية التي نشرت تحت رعاية الوالي العامن و ذلك على الأرجح تقليدا للعمل الذي قامت اللجنة العلمية و الذي يحمل عنوان (l'exploration scientifique de l'Algérie) الاستقصاء العلمي للجزائر.

و في نطاق هذه المجموعة نشرت عدة كتب ذات قيمة منها ترجمة كتاب سيدي خليل، الفقيه المالكي المشهور الذي أنجزها الدكتور بيرون (Perron) و ترجمة تاريخ افريقية للقيروان، قام بها بيليسي (Pelissier) و ريموزا (Rimusat) و يجب أن نذكر ضمن الأعمال التي نشرت في نطاق هذه المجموعة، كتب بيلسي دريونو (P. de Reynaus) و لو أنها تتصل بالتاريخ أكثر ما تتصل بفقه اللغة و أهمها كتاب (Mémoires Historique sur l'Algérie) و كتاب كاريت (Carette) المعنون (Etude sur les routes suivie par les arabes dans la conquête de l'Afrique septentrional) و منذ هذا التاريخ كان يوجد في باريس علماء يكرسون جهودهم لدرس التاريخ الجزائرى و كان في مقدمة هؤلاء الأب بارجيس (Bargers) الأستاذ بجامعة السوربون، و الذي قام بزيارة للجزائر نشر عقبها سلسلة من الكتب تتصل بتاريخها نذكر منها:

Lettre à Monsieur Garcin de lassy sur manuscrit découvert à) Alger) (مع نصوص النقوش العربية) traduit de l'arabe Actes nolaises جمعها في الجزائر

Histoire de Bani-Zayon sois de Tlemcen ; tableau historique .de la dynastie des beni djellab

و كلا من هذين الكتابين ترجم عن العربية.

بعد ذلك بوقت قصير قام بيهان (Pihan) بنشر كتابه المعنون Elément de la langue algérienne في مدينة باريس و في هذه الأثناء اتسع نطاق الدراسات العربية في الجزائر و بعد مضي عشر سنوات من إنشاء كرسي الدراسات العربية في الجزائر، أنشئ كرسي لدراسة اللغة العربية العامية في المدرسة الثانوية في الجزائر، و قد عين في هذا جورجو (Gorgos) الذي اشتهر بعدد من المقالات و الكتب المدرسية بعد إجراء مسابقة لهذه الغاية (1846). و عقب ذلك بوقت قصير أنشئ في قسنطينة كرسي اللغة العربية و بعد ما يارس المترجم فينار التدريس في قسنطينة بضعة أشهر خلفه شاربوبو في 21 ديسمبر 1846 في هذه المهمة و في نفس الوقت أنشئ كرسي لتدريس اللغة العربية العامية في مدينة وهران و عين فيها المترجم هادامار (Hadamard).

و كذلك نرى أنه يوجد في الجزائر منذ سنة 1846 ثلاثة كراسي للدراسات العربية العليا، و كرسي لتدريس اللغة العربية في الثانوية (الجزائر). و هذا المجال لا يتسع لدرس تطور هذه الكراسي و للمدرسة العربية الفرنسية التي أنشأت في مدينة الجزائر في سنة 1857. و القارئ الذي يهمه هذا الموضوع، يمكنه أن يجد عناصره الأ ساسية في كتاب كورالمعنون (Notes sur les chaises de la langue arabe) و مع ذلك نرى أن من الواجب أن نذكر أسماء الذين شغلوا هذه الكراسي و هؤلاء هم : فرعون، برينيي، و كومنبريل (Combarel) (1874-1896) و ريشبي (Richebé) (1874-1877) و هوداكس (Houdas) في الجزائر و هادمار (1846-1855) و كومبريل (1855-1869) و هوداس (1869-1877) و مانيول

(1855-1877) و جولفين Delphin و موليرا (Molièras) في وهران، و فينار 1846، و ثاربونو (1846-1863) و مارسن (1874-1889) و دومتيلنيسكر (Motylinki) (1889-1907)و كور في قسنطينة وهذان العالمان الأخيران تركا أثرا بارزا في الدراسات العربية و تاريخ الجزائر لقد برز شاربونو في الدراسة العربية في قسنطينة بروزا وصفه فردينان بارو (Ferdinand Barrot) في تقرير وجهه إلى وزير التربية و التعليم، (نقله كور) بالعبارات التالية: "إنه يدرس عناصر المطالعة و الكتابة ثم يشرح على الطريقة المتبعة عندنا قواعد النحو العربي و بعد ذلك يتطرق إلى درس المؤلفين الذين يختار من بينهم أولئك الذين تتسم كتاباتهم بسهولة الأسلوب، و تنطوي على قصص و حكايات تقربها من اللغة العربية و حياة الناس العادية. و قد كون السيد شاربوني تلاميذه من الأهالي استطاع أن يجذبهم إليه و يحتفظ بهم ليتابعوا دروسه التي يلقيها باللغة الفرنسية".

ولد جاك أوغست شاربونو في شابيل-بالانش (La chapelle blanche) في سنة 1813 و تابع في المرحلة الأولى دراسة في مدرسة الألسن الشرقية و لفت ألأنظار إليه ببعض المقالات التي ترجمها عن العربية، و نشرها المجلة الأسبوعية. و قد كا تعيينه لشغل كرسي الدراسات العربية في قسنطينة (و كان أيضا يدرس في مدرسة ثانوية) حدثا هاما اتجه نهائيا إلى دراسة الجزائر العربية.

و في سنة 1861 ترك المدرسة الثانوية و تفرغ للتدريس في مدرسة قسنطينة و بعد ذلك بسنتين أصبح مديرا للمدرسة الفرنسية في الجزائر (راجع رسالته إلى رينو في المجلة الأسيوية) (1864 مجلة6، ص198) و في سنة 1871 تولى إدارة صحيفة المبشر، و في سنة 1876 كلف بمهة التفتيش على المدارس الإسلامية العليا، و أخيرا عاد إلى مدرسة الألسن الشرقية في سنة 1879، حيث تولى تدريس اللغة العربية المغربية.

إن تعداد أن مؤلفات شاربونو العلمية بالتفصيل سيكون عملا ثقيلا مملا، و لذلك يقتضي الأمر الاقتصار على ذكر أهمها و ترتيبها في فئات، و نحن نعرج بسرعة على سلسلة من الكتب المدرسية

التي تحتوي على دروسه و محاضراته، و على المحاورات و القطع الأدبية المختارة التي أثـــري بعـــضها بالترجمة، فهذه الكتب التي كانت ذات قيمة في وقته، أصبحت الآن قديمة، و مع ذلك فـــإن بعـــض هوامشه و تعليقاته تحتفظ بقيمتها، و هذا يصدق أيضا على قاموسين ألفهما:فرنسى عـــربى وعـــربى فرنسي، و الأعمال ذات الصبغة العلمية هي التي كرسها شاربونو للهجات الجزائرية و أهمها هي التي تحمل العناوين التالية:

« Définition lexicographique de plusieurs mots ; lettre défrémery sur le paradigme d'une 8e forme usités dans l'arabe parlé ; traité méthodique de la conjugaison arabe dans le dialecte algérien ; observations sur l'origine et la formation du langage arabe Africain ect... »

إن مما لا شك فيه دراسة اللغة العامية الجزائرية كانت لا تزال في المرحلة الأولى في تلك الفترة، فإن أوغست شاربونو قد نشر بحثا في سنة 1858 تحت عنوان "هل توجد أم لا توجد لغة عامية في الجزائر" و مع ذلك فإن أعمال شاربونو كانت لها ميزة، و هي أنها خطت معالم طريق لدراسات اللهجات العامية الجزائرية، و لكن أعمال شاربونو التي كتب لها البقاء هي: رسالة التي تعالج تـــاريخ المغرب و أهمها:

« Document sur obeid Allah fondateur de la dynastie fatimide ; documents sur l'heritique Abou-Yazid ; Précis Historique de la dynastie des aghlabité ; Précis historique sur la dynastie des Banou Djellab ; La farésiade ; Expédition de Mourad-Bey contre Constantine et Alger »

و يجب أن تضاف لهذه المجموعة من المؤلفات دراسات في السير و في البيبلوغرافيا (أهمها دراسة عن الأدب العربي في السودان)، و هي عبارة عن نصوص اقتبسها المؤلف من أعمال بعض الجغرافيين العرب، و نقوش عربية و معظم فصول الكتاب مترجمة بطريقة تبدو في بعض الأحيـــان قديمـــة

العهد، إلى جانب ذلك فإن مؤرخي إفريقيا الشمالية الذين جاؤوا بعد شاربونو قد استفادو من هذه الوثائق استفادة كبيرة.

و أخيرا فقد تعاون شاربونو مع سوطاير (Soutayer) لإعادة رسالة الأخير المعنونة: (Traité de droit musulman) (الوضع الشخصي و الميراث).

و لقد أحسن شاربونو صنعا حينما لم يترك نفسه لتستوعبه الدراسيات العربية كلية و عمل لجمع و نشر نقوش لاتينية كتب حولها عددا من المقالات في المجلة الإفريقية و لقد لخص جيمس دارميستيش الدور الذي لعبه شاربونو في الجزائر في تقرير نشر في المجلة الأسيوية (سنة 1883 مجلة2 ص18) في العبارة التالية:

"و لقد كرس نشاطه بوصفه عالما دأبه التواضع و نسيان الذات لمهمة صهر العنصر العربي و العنصر الفرنسي في الجزائر بواسطة التعليم".

اشتق دوسلان (وليام ماك جوكين) اسمه من مدينة صغيرة تقع في (كونتين هيوث) و قد ولد في بلفاست

في ايرلندا في 12 أوت 1801 و في سنة 1830 حضر إلى فرنسا مثل عدد من الأجانب الذين يريدون التعمق في اللغة و لم يلبث أن أصبح من أكبر تلامذه سيلفاستر دوساسي، و منذ سنة 1837 نشر ديوان امرؤ القيس مرفق بترجمة فرنسية و مقدمة استخلص عناصرها من كتاب الأغاني.

و في سنة 1840 قام بتحقيق جغرافية أبي الفدا بتعاون مع رينولحساب الجمعية الأسيوية، و بعد ذلك بسنتين ظهر الجزء الأول، من النص العربي الطبعة لم يقدر لها التمام) و كذلك الجزء الأول من الأجزاء الأربعة من الترجمة التي وضعها بالإنجليزية لكتاب وفيات. (و هذه الأعيان و هذه الأعمال الطويلة النفس لم تحل دون نشره عددا من المقالات و الدراسات في المجلة الأسوية (و من بينها مقتبس من تاريخ إفريقية للنويري، و وصف إفريقية لإبن حوقل، و رحلة ابن بطوطة في إفريقيا الغربية، و رسالة عن الغزوة الإسلامية لموريطانيا).

و بعدما حصل على وثائق الجنسية الفرنسية، (1845) أرسلته الحكومة الفرنسية في مهمة إلى الجزائر. قدم عنها تقرير إلى وزير التربية و التعليم أرفقه بقائمة بعناوين أهم المخطوطات العربية التي تحتوي عليها المكتبة الوطنية بالجزائر، و مكتبة سيدي حمودة، قسنطينة. و من هذا التقرير النادر قد يكون من المفيد أن نقتبس منه الفقرات التي تتعلق بمصادر المكتبات الخصوصية و قد جاء فيه:"إن المكتبة الوطنية بالجزائر تحتوي على 700 مخطوطا عربيا، كان بيربروجي هو الذي تولى جمعها كلها تقرير المجموعة التي كونها تمثل أهمية كبيرة و ذلك بالنسبة إلى عدد الكتب و نوعها معا، و المجموعة في معظمها تتكون من بقايا عدد كبير من المكتبات العمومية الملحقة بالمساجد في قسنطينة، و قد نشر عقب استيلاء الجيش الفرنسي على هذه المدينة، و مكتبة الجزائر تحتوي على عدد كبير من الكتب الدينية و لا سيما الفقهية و أما الكتب التاريخية و العلمية فهي قليلة و لكنها في مجموعها مهمة جدا .

النصوص الأصلية للدراسة

ESSAI

D'ÉTUDES LINGUISTIQUES & ETHNOLOGIQUES

SUR LES

ORIGINES BERBÈRES

Depuis plus de 25 ans M. le général Faidherbe, dans divers ouvrages d'une grande valeur scientifique, soutient l'opinion que les Berbères doivent se rattacher à une race non sémitique, pré-aryenne, se rapprochant plus ou moins du type Kymri ; le savant auteur des *Recherches anthropologiques sur les tombeaux mégalithiques de Roknia* ajoute que c'est surtout à la linguistique qu'il faut demander la solution du difficile problème des origines berbères.

Un essai dans ce sens a été fait en 1868, par M. Olivier, président de l'Académie d'Hippone, qui, au moyen de rapprochements glossologiques et grammaticaux a rattaché les Berbères aux Grecs (Iaones), aux Ibères et aux Celtes. Ce travail, où l'esprit le dispute à l'érudition a certainement une véritable valeur ; il nous a beaucoup servi, et, bien que nous soyons arrivés à des conclusions sensiblement différentes, nous devons le mentionner comme un des jalons qui nous ont le plus aidé à nous dégager de l'ornière battue du prétendu sémitisme berbère.

Cette origine sémitique est du reste depuis longtemps

repoussée en principe par M. Renan, l'homme du monde savant le plus compétent en matières hébraïques. La sûreté des méthodes scientifiques a, en effet, conduit l'éminent professeur à des conclusions en parfaite concordance avec l'impression produite, en Algérie par les Berbères, sur tous les gens éclairés et instruits qui ont vécu avec ce peuple d'une façon suivie et tant soit peu intime.

M. le général Hanoteau, MM. Letourneux, Duveyrier, O. Mac Carthy, Carette, Féraud, Pomel, etc., ont tous, à des degrés différents et sous des formes diverses, indiqué, comme probable ou possible, l'origine non sémitique des premières races berbères.

Et, plus récemment encore, le professeur Masqueray, dans ses remarquables études sur le Djebel-Aoures (1), reproduisait ainsi cette impression si vraie et si générale : « ...En entendant ce langage de l'Oued-Abdi, si fluide » qu'il semble éviter à dessin les gutturales et rechercher » tous les efforts sifflants que peut admettre la langue » humaine, sans jamais séparer par une seule voyelle » sonore des suites de consonnes douces; parler aérien, » chanté, retombant à chaque coup sur des finales en » ène, îne, elh, êlh, az, et ne s'arrêtant que sur des » voyelles très longues et très ouvertes faites pour le » repos des lèvres; j'ai souvent songé à la langue alle- » mande enrichie du th de l'anglais et de la ñ espagnole. » Je ne sais quel retour vers le nord, quelle souvenance » des régions froides et lointaines éveillaient en moi » cette musique naturelle si étrangère au pays où elle se » produisait. »

Cette impression nous l'avons nous-même ressentie ien longtemps, et dans ce même Aoures, et dans tous

(1) Voir *Revue Africaine*, 1877-1878 — et *Notes sur les Ouled-Daoud* et *Djebel-Aouras*. Alger, 1879. Librairie Jourdan.

les pays berbères où nos devoirs professionnels nous ont appelé à faire de fréquents séjours. Et, après de longues et patientes études sur le langage que nous entendions, après bien des tâtonnements et des hésitations, nous avons acquis la conviction que les Berbères représentent quelques-unes des branches détachées de ces antiques et vaillantes races Touraniennes qui, des plaines de la haute Asie, ont jeté leurs vigoureux rameaux aux quatre coins du vieux monde et jusque en Amérique.

C'est le résultat de ces études que nous allons essayer d'esquisser ici à larges traits et en résumant, du mieux que nous le pourrons, les éléments qui ont formé notre conviction et que nous présenterons quelque jour dans un travail spécial plus détaillé.

Alger, juin 1880.

PREMIÈRE PARTIE

LINGUISTIQUE

CHAPITRE Ier

Les Tifinar ou consonnes. — Leurs rapports avec les caractères cunéiformes. — Leur valeur hiéroglyphiques, idéographiques et phonétiques. — Lettres racines ; rapprochements linguistiques. — Consonnes complémentaires.

Dès les premiers âges du monde, et aussitôt que les hommes de l'âge de la pierre, réunis en société, eurent besoin de tracer, sur les rochers ou sur les troncs d'arbres, les signes de ralliements ou les indications sommaires utiles à leurs relations naissantes, ils employèrent un éclat de silex. Et, comme cet éclat, susceptible de rayer les rocs les plus durs, s'il est employé en suivant le sens de son arête, était en somme très friable et se brisait à la moindre inclinaison de la main devant de la ligne droite, les premiers signes tracés furent des lignes droites, ou des composés de lignes droites, se coupant à angles vifs ou restant parallèles.

C'est là l'origine des premières runes scandinaves, c'est là aussi l'origine des *clous* des caractères cunéiformes, caractères qui, dans les types les plus archaïques, sont composés exclusivement ou à peu près de clous grêles, sans têtes bien marquées, et tout à fait différents de ceux façonnés avec un stylet sur les briques assyriennes et reproduits avec tant d'élégance par les caractères typographiques de l'imprimerie nationale.

Cette nécessité de ne faire que des lignes droites eut

encore pour résultat de forcer les premiers hommes qui voulurent dessiner un objet symbolique, c'est-à-dire un signe hiéroglyphique, à modifier la forme vraie et à y substituer une forme conventionnelle rectiligne : l'image du soleil fut ainsi amenée à être un carré.

Plus tard, à l'époque de la pierre taillée, quand l'homme sut façonner un poinçon, il put aussi faire dans le roc, ou sur les troncs d'arbres, des trous bien apparents, et il compléta ses premières indications rudimentaires par des *points* dont le nombre, la disposition et la place, modifièrent ou précisèrent dans tel ou tel sens les idées exprimées par les signes formés de lignes droites.

Ce fut là l'origine des *coins* de l'écriture cunéiformes, coins qui n'apparaissent que dans les types déjà moins archaïques que ceux composés exclusivement de clous, et qui ont débuté par n'être que de simples *points* et non pas des *coins* comme sur les briques assyriennes de la belle époque.

Les caractères berbères, tels qu'ils existent aujourd'hui chez les Touaregs, ou tels que nous les retrouvons dans les plus anciennes inscriptions numidiques, sont, comme les écritures cunéiformes, à peu près uniquement composés de traits rectilignes et de points.

Les sigles exclusivement tracés en *traits* sont nommés *tifinar* ; ceux tracés avec des points sont nommés *tiddebakin*.

La signification analytique du mot *tifinar* est « ce que a envoyé (a révélé) le Dieu Enn créateur. » Cette dénomination, sur laquelle nous reviendrons, montre que chez les berbères, comme chez tous les peuples très anciens, les caractères de l'écriture furent d'abord en usage chez les prêtres qui les présentèrent comme les effets d'une révélation surnaturelle : car, dans les premiers âges du monde, nous voyons partout le sentiment religieux se mêler intimement aux actes les plus ordinaires de la vie matérielle et dominer les conceptions les plus simples de l'intelligence et de la raison.

Ces tifinar, ou caractères « d'origine divine », étaient, dans les premiers temps, au nombre de dix seulement : dix, nombre sacré dont l'auréole mystique s'est perpétuée à travers les siècles chez tant de peuples Touraniens ou Ariens !

C'est à ce chiffre de 10, que se ramènent les consonnances essentielles et primordiales des principales langues indo-européennes, et c'est à ce chiffre de dix consonnes que se réduisent, en définitif, les premiers alphabets des Grecs et des Latins (1). C'était alors des alphabets bien imparfaits, mais ils suffisaient pour « les humbles commencements de la pensée et du langage (2). »

Ces dix tifinar étaient tout à la fois des signes hiéroglyphiques, des signes idéographiques et des signes phonétiques ; en voici la forme primitive, forme qui, pour neuf d'entre eux, est encore la même aujourd'hui :

Nous allons faire de chacune d'elles une étude sommaire, en indiquant, à côté des valeurs analytiques que

(1) Les grammairiens donnent ordinairement 11 consonnes aux alphabets primitifs grec ou latin : B C D F L M N P R S T.

β γ δ κ λ μ ν π ρ σ τ

Mais la similitude de B et P, en latin, permet de penser qu'il y a là une lettre adoucie postérieure à l'alphabet primitif.

De même en grec κ fait double emploi avec γ dont il n'est que la forte et β ou π avait sans doute le son de F qui existait certainement avant l'invention de la lettre φ qui n'appartient pas à l'alphabet primitif.

(2) « Un alphabet fort imparfait peut suffire pour les humbles » commencements de la pensée et du langage, mais avec les progrès » de l'esprit, un développement correspondant doit se produire dans » l'articulation des lettres. » Marc Muller, *Nouvelles leçons sur la science du langage*, t. I, p. 258.

nous avons déduites, les valeurs usuelles et pratiques qu'ont ces tifinar, comme lettres racines, dans le berbère moderne.

I

Valeur hiéroglyphique. — L'épieu planté en terre, forme symbolique sous laquelle la plupart des peuples Touraniens adoraient le dieu *Anou, An* ou *Enn (celui qui est un et toujours debout)*.

Valeur idéographique. — *Enn, An* ou *Anou, Enyo*, le grand dieu ou la grande déesse nationale des Touraniens ; l'émanation et la manifestation de *Ilou*, le principe divin par excellence. *Enn* est le grand tout immense et unique, le chaos primitif, le *verbe* éternel et incréé, l'esprit et le souffle de Dieu, cause primordiale de tout, et dormant dans les ténèbres, à la surface des eaux, pour se manifester par le tonnerre, la grande voix de l'être suprême laissant entrevoir sa splendeur. — *Anou* est une ancienne divinité numide qui a laissé son nom à plusieurs montagnes en Berberie.

Valeur phonétique. — *N.* Nom moderne, *Ienn.*

Lettres-racines et radicaux d'une seule consonne

1. — ⵉ *En*, dire, parler (1) ;
2. — ⵄⵉ *Ina* (Zg.), tuer ;
3. — ⵄⵏⵉ *Anou*, puits ;

(1) Le radical d'un verbe est en berbère la 2e pers. sing. de l'impératif, comme en allemand, en persan, en mantchoux, etc. C'est pour nous conformer à l'usage que nous traduisons les radicaux par l'infinitif.

4. — 𓂋𓀀 *Ana* (Zg.), pleuvoir, 𓂋𓀀𓏏 *Noua*, même sens, 𓂋𓀀𓏏 *Nou*, pluie ;

5. — 𓄿𓀀 *Eni*, voir ;

6. — 𓀀 *En*, *in* (K.), ici, là. — *En*, *in*, affixe zenaga s'ajoutant aux noms comme démonstratif des objets éloignés de ceux que l'on fait voir : — 𓀀 *En*, *in*, celui-ci, un, celui de. 𓀀𓏏 *Ouen*, même sens ;

7. — 𓄿𓀀 *Ini*, couleur, coloration, *nuance*, apparence ;

8. — 𓀀𓄿 *Ien*, un. 𓂋𓀀 *Ena* (Zg.), faire un, unifier, unir, lier, attacher ;

9. — 𓀀 *Enn* (Mz.), 𓀀𓏏 *Eoun* (T.), monter à cheval, faire un avec sa monture, s'élever, gravir une montagne ;

10. — 𓀀 *In* et 𓀀𓏏 *hin*, *tente*, réunion de gens unis par les liens de famille, des gens ne faisant qu'*un* ; intérieur de la tente ;

11. — 𓂋𓀀 *Ana*, frère, et 𓂋𓀀 *Anna*, femme de l'oncle paternel, femme ayant la prééminence sur toutes les femmes ou filles de la famille. (Ces deux mots dérivent évidemment du précédent) ;

12. — 𓂋𓀀 *Ena*, être cuit ;

13. — 𓀀 *En*, *in*, *N'*, préposition du génitif avec les sens de : de, en, etc. ;

14. — 𓀀 *En*, *in*, agent grammatical, signe de la première personne (de celle qui parle), signe du pluriel, du participe, etc. ;

15. — 𓄿𓀀 *Eni* et 𓄿𓀀𓏏 sang (sens dérivé de 4 et 7).

De la valeur idéographique de 𓀀 *ienn* en berbère, on peut rapprocher :

Ωον, œuf, principe. — L'*Anou* touranien. — *Oannes* du

grec. — *Ana*, mère des dieux chez les anciens Irlandais. *Enyo*, la déesse de la guerre dont l'attribut était la lance. — Le sanscrit : *An*, respirer ; *Ana*, haleine, souffle. — Ναος, temple, chapelle. — Νεω, nager. — Νους, esprit, intelligence, âme. — Αον, fils de Neptune, ancêtre des *Oannes*, de l'*Aonie* ou Béotie. — Noé le patriarche du déluge. — Le latin *No*, nager. — Le gaélique *Innis*, île. — Le brésilien *Ana*, Satan, l'esprit des ténèbres et du mal. — Le chinois *tien*, ciel (pour Dieu). — *An*, Dieu, maître, seigneur en summérien, ce qui devient *Unan* en médique et *Anin* en suzien et prend le sens de roi. — Ανω, en haut. — Enfin, Neptunus ou Poseidon, le dieux des eaux, ce que nous établirons plus tard. (Liv. II).

Des diverses valeurs de la lettre racine 𓀀, *ienn* en berbère, on peut rapprocher :

1. — Ην, attique pour ηαν, dis-je. — Ναι, Νη, certes, oui ! — L'allemand *Nennen*, nommer, appeler parler, dire. — 𓀀𓃀 *esan*, *éclair*, *tonnerre* (T. S.), formé de 𓃀, S, avec, et de 𓀀 *en* (verbum Dei). — *Innuo*, latin, consentir. — Arabe, ان, *En*, certes ;

2. — Ανω, tuer, détruire. — Les indigènes croient que c'est le *bruit* du tonnerre qui *frappe* et qui tue : comparez à cette idée le latin *verberare*, frapper, qui a pour radical *verbum* ; 𓂋𓀀 *Ina* est en réalité le coup de foudre qui frappe et tue ;

3. — *Anou* est à proprement parler « le trou circulaire » fait par la foudre en tombant. Cette idée existait, sans aucun doute, chez les anciens Romains qui, sur chaque point frappé par la foudre, élevaient un temple ou oratoire appelé putéal, de *putens*, puits ;

4. — Αμανω, arroser. — Νασω, couler. — *Nue*, *nuée*, nuage. 𓀀𓅓 *man*, *aman*, eau (formé de 𓀀 pluie et du préfixe 𓅓 matière, chose de la pluie, d'où Eau). Le kimrique *an*, *on*, *aon*, rivière ; le bas latin, *Noa*, prairie maréca-

geuse; le français *Noue*, pré humide, bas ... humide. Sanscrit : *Naegas*, eau des nuées; le grec ναυς, thon, celui de la mer (formé de 𓈖 pluie, eau, et du préfixe ☥ T.);

5. — Νοεω, voir, remarquer, être prudent;

6. — Ηνι, voilà, voici. Latin : *En*, voici;

7. — Ιαν, brun. — *Iaune*, archaïque pour jaune;

8. — *Unus, un, unir, union, nouer.* — Sanscrit : *Nah*, réunir, lier. — νεω, filer. — Allemand : *Nahen*, coudre;

9. — Ηνια, rênes, courroies. — ανα, en montant. — ωον, œuf;

10. — Avec une aspiration similaire de celle usitée pour 𓄿𓄿 *Ahni* dans certains dialectes berbères, le sanscrit *vana*, habitation. — Latin *in*, dans;

11. — *Ossete, an*, père. — Vieil allemand, : *Ano*, aïeul, *Ana*, aïeule. — Persan : *Nana*, aïeul maternel. — Beloutchi : *Nano*, aïeul maternel. — Kimrique : *Nain*, aïeule. — Albanais : *Nan, nana*, père. — *Ana*, mère des dieux chez les Irlandais;

12. — Ιαω, réchauffer;

13. — Εν, dans, en. — Latin, *in*;

14. — Lil *ana*, moi (celui qui parle);

15. — Οινος, vin (rouge).

𓈖

Valeur hiéroglyphique. — Les deux traits, parallèles et égaux, comme symbole du dualisme qui forme le fond de toutes les religions primitives. — 𓈖 C'est le dieu suprême, *Ilou*, et son « reflet » c'est *Enn*.

Valeur idéographique. — Le dieu suprême *Ell, Ialaou, Iol*, ou *Aulus* des Numides, *Ilou* des Chaldéens et des

Touraniens; celui qui *est*, celui qui existe par excellence, le maître omnipotent de tout ce qui est; le beau, le bon, la divinité abstraite, l'essence divine et le principe même de l'existence de *Enn*.

Valeur phonétique. — *L.* Nom moderne, *Iell*.

Lettres-racines et radicaux d'une seule consonne

1. — 𓈖 *Ila*, la divinité suprême;
2. — 𓈖 *Ili*, être, exister;
3. — 𓈖 *El*, posséder. — 𓈖 *Oulli*, richesses : fille, troupeaux, etc.;
4. — 𓈖 *Elou*, être puissant. — 𓈖 *Loua*, peuple dominant;
5. — 𓈖 *Ell, ali*, être élevé, être haut. — *Ali*, monter;
6. — 𓈖 *Eli*, resplendir, être blanc;
7. — 𓈖 *Eli, elou*, être bon, beau, joli. — (*K. Ilali*, même sens. — *Ahlou*, être guéri);
8. — 𓎛 𓈖 *Eloui*, conduire à la corde;
9. — 𓈖 *Ila*, feuille;
10. — 𓈖 𓎛 *Il* (Zg.), fleuve;
11. — 𓈖 𓎛 *Il*, pleurer (A.);
12. — 𓈖 𓂋 *Oul*, cœur (l'organe de la vie, de l'existence);
13. — 𓈖 𓈖 *Ilal*, aider;
14. — 𓈖 𓈖 *Ellou*, être de condition libre;
15. — 𓈖 𓂋 *Oula*, être semblable;
16. — 𓈖 𓂋 *Aoual*, parole;
17. — 𓈖 𓂋 *Ouali*, regarder (K.) *all*, inusité, œil, d'où le pluriel 𓉔𓁶 *allen* et *allouen*, yeux (K.);
18. — 𓂋 𓈖 *Iallou* (Zg.), nécessaire, obligatoire;

La valeur idéographique, que nous donnons pour 𓆓, est celle qui se retrouve dans toutes les langues originaires de l'extrême Orient, où la consonne L forme toujours la lettre essentielle du radical employé pour désigner l'être suprême.

En berbère, les diverses valeurs de la lettre racine 𓆓 se ressentent toutes de l'idée religieuse, cependant on peut encore indiquer quelques rapprochements intéressants avec les vocables similaires des langues indo-européennes.

1. — *Iol, Ialaou, Aolus,* dieux numides connus par des inscriptions trouvées en Berberie. — Ιλάω faire un sacrifice propitiatoire : ουλαι et ολαι, graines d'orge répandues sur la tête de la victime dans les sacrifices ;

2. — En tamoul, le verbe être : *ul.* — Latin, les démonstratifs de personne *ille, illa ;* français, *il, elle, lui ;* anglais, *alive,* vivant ;

3. — Danois et celtique, *Alleu* (fief héréditaire). — ολος, tout, complet, entier. — Αιτια, butin, proie ;

4. — Λιων, lion. — anglais, *all,* tout ; allemand, *all,* tout ; Αιων, moissons. — Αυλη, trop. — Αιων, étable. — ουλοι, gerbe de blé. — Béarnais, *Hill,* fille ;

5. — D'où les radicaux divers : 𓆓 + *tell,* hauteur, 𓆓 + *tala,* source (celle de la montagne), etc. — Latin, *ala,* aile (ce qui élève) ; *alo,* faire croître, faire grandir ; *altus,* élevé. — Sanscrit, *al,* augmenter. — Λειω, élever. — Ιαλλω, lancer. — Celtique, *all, al,* haut. — ﻋﻠﻰ sur ;

6. — Ηλιος, soleil. — Ελη et Ελη, éclat du soleil. — Ηλειω, briller comme le soleil ;

7. — Sanscrit, *ul,* bon. — Ελεω, avoir pitié ;

8. — Ελαω, attique, pour Ελαυνω, conduire un char ;

9. — Υλη, feuillée, bois, forêt. — *Olea,* olivier, l'arbre par excellence ;

10. — *Ill, ille,* noms de rivières, Alsace et Bretagne. — Sanscrit, *IL,* courir. — Latin, *LUO,* laver, baigner, arroser. — Gaélique, *LI, LIA, LLI,* eau vive. M. Olivier fait remarquer à ce propos que dans presque toutes les langues indo-européennes il y a corrélation entre les idées de montagne, eau et habitation : *Collis, couler, colere, etc.* (Voir *Recherches sur les origines des berbères,* 2e partie, p. 75 et *Bulletin de l'Académie d'Hippone,* n° 5, 1868) ;

11. — *Luo,* porter la peine, expier ;

15. — Bas-breton, *all,* autre. — Latin, *alius,* autre ;

A la lettre radical L 𓆓 et à ses sens 1, 2, 4, 8, 14, on peut rattacher le mot français *loi,* espagnol *ley,* portugais et provençal *lei, lou.* — Wallon, *loü lur.* — La première *loi* fut chez tous les peuples une loi religieuse, une chose *liant* l'homme à Dieu, à 𓆓 *ell* l'être suprême ; d'où le sens du radical *Li* dans *lier, liane, liasse, lien ;* d'où le mot *Liach,* qui, en bas-breton, est le nom de la pierre plate des dolmen, de la pierre sacrée, de la pierre d'Ell ;

17. — Le vocable *œil ;* catalan, *oill, ul ;* provençal, *ol, oel, uel ;* flamand *ouele :* Dieu n'est-il pas, chez les berbères comme chez tant d'autres peuples indo-européens, le Grand Voyant. — En tamachek ⵉⵎⴰⵏⴰⵢ *Amanai, imokeran.*

Valeur hiéroglyphique. — Un réceptacle, un vase.

Valeur idéographique. — Matrix, natura, materies. — La nature génératrice, la matière engendrante, le

principe, ou mieux, la substance de la génération passive. L'espace, l'éther : la nature d'où tout sort et où tout rentre. — *Maïa*, était le nom d'une des déesses numides, son nom est resté à plusieurs montagnes de Berberie.

Valeur phonétique. — *M.* Nom moderne, *Iemm*.

Remarque. — Bien qu'en principe la plupart des caractères finnar n'aient ni haut, ni bas, il y a cependant un sens dans lequel ils sont employés plus souvent : pour la lettre *iemm*, ce sens est déterminé par l'obligation de maintenir le côté concave de la lettre vers la fin du mot. — La forme ci-dessus appartient donc à une écriture verticale de bas en haut, écriture que nous montrerons plus loin avoir été la plus ancienne. Dans les exemples ci-dessous, nous conformant à l'usage moderne d'écrire le tamachek de droite à gauche, notre ⵎ devient ⵎ.

Lettres-racines et radicaux d'une seule consonne

1. — ⵎ *Ma, em,* mère, auteur, possesseur, matière, amas;
2. — ⵎ *Imi,* bouche, fente, ouverture, débouché, exutoire, orifice. — ⵎ: *Oummou* (Zg.), porte;
3. — ⵎ. *Ama,* s'asseoir, être assis, rester, demeurer;
4. — ⵎ *Em,* être mort;
5. — ⵎ *Em,* prix, valeur, estimation, mesure;
6. — ⵎ *Ma,* comme;
7. — ⵎ *Ma,* qui ? qué ? quoi ? interrogatif;
8. — ⵎ *M,* affixe personnel signe du féminin;
9. — ⵎ *M,* préfixe grammatical (signe du passif, noms dérivés, etc).

Des diverses valeurs de la lettre racine *iem* ⵎ on peut rapprocher :

1. — Le sanscrit *mâ*, créer, produire; *am*, vénéré; *matar*, mère, qui est employé dans les Nida avec le sens de *créateur, auteur*, est formé de *mâ* et du suffixe *tar* qui, en sanscrit, est la formative des noms d'agent. — Dans la mythologie indienne, *Mâïa* est le nom de la première femme, de la première vierge. — En mantchoux, *ama* signifie *père*, c'est-à-dire l'*auteur*, masculin. — Μαῖα, sage-femme; Dorien, aïeule. — ἀμάω, j'entasse; ἅμα, ensemble; αἷμα, sang, race, progéniture. — Arabe, أم *oum*, mère;

2. — *Imi*, bouche, se rattache à l'idée de maternité et d'engendrement. C'est le radical de *meat, meatus, meabilis*, etc. *Imi*, la *bouche*, c'est-à-dire celui qui parle, explique, peut-être les formes des pronoms de la 1re personne. *Me*, latin; *me, moi*, français; *am*, celtique; *m*, lapon; etc. — Ἐμέω, vomir;

3. — La mère est celle qui reste assise, qui demeure. Le composé ⵎⵄ *Kim*, s'asseoir, est plus généralement usité que ⵎ *Ama*, qui est resté surtout dans le Zenaga. Ce sens peut dériver aussi de ⵎ *em*, mort, car les morts berbères étaient jadis mis au tombeau accroupis ou *assis*, ainsi que cela a été constaté en fouillant les tombeaux mégalythiques en Berberie. — Ἧμαι, être assis;

4. — Mourir, c'est rentrer dans la nature. — En sanscrit, *yami* et *yama*, sont le premier couple humain qui, d'après les légendes védiques, paya son tribut à la mort. *Yama* devint le roi des *âmes*, le roi du Pitris et la personnification de *la terre après la mort*;

5. — Latin, *emo*, acheter. — Sanscrit, *ma*, mesurer. — ἅμα, avec ensemble;

6 et 7. — Sont des sens dérivés du n° 5. — Comparez le grec ὁμός, pareil, semblable.

L. RINN.

(A suivre.)

ABRÉVIATIONS

CONTENUES DANS

LES ORIGINES BERBÈRES

B.	Berbère, c'est-à-dire commun à presque tous les dialectes.
T.	Tamachekt.
T. N.	Id. (Touareg Nord).
T. S.	Id. (Touareg Sud).
Mz.	Mezabia (Beni-Mzab).
Zg.	Zenaga.
Zent. ou S. ..	Zenatia, dialecte saharien.
K.	Kabyle (Djurjura).
C.	Cheloka, Chella (Marocain).
A.	Aores et Chaouia.
A. E.	Aores Est (Zenatia).
A. O.	Aores Ouest (Tamazirt).
B. M.	Beni Menacer.

VOYAGES EXTRAORDINAIRES

ET

NOUVELLES AGRÉABLES

PAR

MOHAMMED ABOU RAS BEN AHMED BEN ABD EL-KADER EN-NASRI

HISTOIRE DE L'AFRIQUE SEPTENTRIONALE

(Suite. — Voir les nos 132, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 140 et 144).

---

* جحافل الكبير قد حموا جوانبها * وعن دمائهم
معجز ابو فليس *

Les armées de la chrétienté ont protégé la ville de tous côtés, et Abou K'elmès n'a pu les en repousser.

COMMENTAIRE

(الجحافل). — A'ntara disait à son épouse A'lba :

— Interroge les Fezzara sur la conduite que j'ai tenue, quand ils se sont approchés de moi comme une armée aussi serrée que la pluie versée par le nuage.

« Dès qu'ils ont vu les flammes de mon épée devenir plus éclatantes, ils ont brandi leurs sombres lances par haine contre moi. »

Tolba-ben-Driss; la misère était grande, et tous ces réfugiés étaient une lourde charge pour le pays, depuis qu'on ne faisait plus aucune prise. C'est sur ces entrefaites que le chérif dont nous avons surtout voulu raconter l'histoire vint donner à l'insurrection un nouvel essor.

N. ROBIN.

(A suivre.)

Pour tous les articles non signés:

Le Président,

H.-D. DE GRAMMONT.

Alger. — Typ. A. JOURDAN.

ESSAI
D'ÉTUDES LINGUISTIQUES & ETHNOLOGIQUES
SUR LES
ORIGINES BERBÈRES

(Suite. — Voir le n° 147.)

□

Valeur hiéroglyphique. — □ La lune dans son plein.

Valeur idéographique. — *Err, Iera, Rhea, Our, Our* des Chaldéens et des Soumirs; la lune, embryon, principe, noyau ou germe originel. Manifestation de *Enn (Anou)*, symbole de la création. *Our* qui embrasse l'hori-

---

NOTA. — Il convient, dans le numéro précédent, de rectifier ainsi la valeur de la lettre *lemm* ⊐ :

⊐ *Valeur hiéroglyphique.* — Un croissant en tracé rectiligne. Le croissant, matière première et substance mère de la lune □ *our*. Le croissant qui augmente, mesure le temps, s'emplit, décroît et meurt ou s'anéantit; peut être aussi un vase, un récipient.

zon, fend la nue et s'élance dans le ciel ; le nucleus qui fend la terre, déchire son enveloppe et surgit.

« Les anciens Lybiens, nous dit Hérodote, n'offraient » de sacrifice qu'au soleil et à la lune, ce sont les seuls » dieux qu'ils adorent ; mais sur le lac Triton, les séden- » taires honorent aussi la déesse Minerve, Triton et » Neptune. » (Melpomène, 88). Ce culte du soleil et de la lune se prolongea en Berberie jusqu'aux temps qui suivirent l'établissement de l'islamisme (1). Le nom du dieu Lune chez les Lybiens étaient *Ieru*, mot qui nous a été conservé par des inscriptions romaines.

Valeur phonétique. — *R.* Nom *Ierr*.

Remarque. — La forme archaïque est □, la forme moderne est indifféremment □ ou bien ○.

Lettres-racines et radicaux d'une seule consonne

1. — □: *Our, Iour, Iorr, Aiour,* lune, surtout pleine lune, mois (lunaire), croissant ;
2. — □ *Ar,* ouvrir, se détacher en fendant ou déchirant, enfanter, produire, détacher, surgir, faire saillie, se montrer, s'élancer, s'avancer (tous les sens du latin *Orire*) ;
3. — .□ *Ara,* embryon, nouveau-né, petit enfant, cordon ombilical ;
4. — □ *Our* et □□ *rour,* fils, homme, créature ;
5. — □ *Ré,* quiconque, un individu quelconque, quelqu'un ;
6. — ⋜□ *Ari,* écrire, buriner, graver, rayer ;
7. — :□ *Arou,* être ancien. — ○⋮ *Ahir,* être vieux ;

(1) Bou Ras, *Histoire inédite de l'Afrique septentrionale*, Revue africaine, n° 29.

8. — ⋜□ *Eri,* aimer, désirer ;
9. — □ *Err,* brûler. — ⋜□ *Arroi,* incendie. — .□ *Ioura* (Zg.), il fait chaud ;
10. — .□ *Erra,* sécher, dessécher. — □: *Iour, ioor,* (Zg.) sec ; (Mz.) être avare ;
11. — ⋜□ *Iri,* nuque, sommet, point culminant, extrémité, bord, saillie, épaule. — □⋮ *ouar,* être sûr ;
12. — □ *Our, ara* ne, non, ne pas, rien (négation), jamais, chose ;
13. — □⋜ *Ierra,* (Mz.), être malade, brûler la fièvre. — □⋜ *Ir,* mauvais. — □⋜ *Iroura,* tromper ;
14. — □ *Ar,* jusqu'à, à ;
15. — □ *Ora* (Zg.), crier, appeler, faire sortir en appelant ;
16. — □ *Ar* et □⋮ *Ahr,* être associé ;
17. — :□ *Rou,* pleurer (K.), d'où ○⋮⋜ *Aihar,* sang des hemorragies ; liquide s'échappant d'une ouverture. — □ *Ari,* lait. — □ *Ori* (Somali), sueur ;
18. — □⋜ *Iere,* pâle, couleur de la lune, jaune. — □ *Ouri,* or (Zg.) ;
19. — □ *Ar* et □: *Ouar,* lion (celui qui déchire), sanglier (Zg.) ;
20. — □ *Aré* (Zg.), moment ;
21. — □ *Iari* (Mz.), circoncire ;
22. — □ *Ore* (T, S.), étrangler.

Our était en Chaldée un des noms de la ville de *Chalanne* (en berbère Kal-Anné, la ville du peuple d'Enn) ; d'après les inscriptions cunéiformes, c'était « la ville du Dieu qui veille sur la lune.... la ville de la maison du

monde. » — Our paraît être identique avec la *Hera* pelasgique Hera ou Junon, déesse de la fécondité, de la reproduction, déesse suprême des races Doriennes et Ioniennes, celle qui *seule* et sans époux avait enfanté Eros, Mars (le Dieu solaire). — Our a encore de grandes ressemblances avec *Rhea*, la mère des dieux chez les phrygiens : la Rhéa idéenne (en berbère : compagne, reflet, associée de Enn) est identique aussi avec la *Bellit* babylonienne, mère des dieux et compagne de Anou.

Les diverses valeurs de la lettre racine *terr* □ qui toutes se rattachent aux qualités, apparences et influences de la lune, peuvent être l'objet des remarques suivantes :

1. — Pour les mathématiciens et les astronomes de tout le globe le signe ○ représente la lune, alors que ⊙ représente le soleil : ce signe viendrait-il des astronomes Chaldéens ?

Quoiqu'il en soit, □ *Our* c'est la lune dans son plein ; la nouvelle lune, lorsqu'elle apparaît, porte le nom de *tallet* + ‖ +, celle de *Ell*, ou mieux la petite *Ell*, la petite divinité. — *Thor*, le Dieu des anciens Saxons était « le père de la lune » c'est le sens analytique de son nom en berbère : □+ = *parter luna*, ou celui de la lune. — Ιερευς, prêtre ; ιερος, sacré, etc. — Ιρις, arc-en-ciel, croissant divin. — Ὁρος, règle, époque. — Ωρα, saison, temps, *heure*. — Latin, *ara*, autel ; anglais, *ère*, époque, ère ; français, *ère*, *roue*, *eür* pour heur, sort ;

2. — Αρουω, labourer, fendre la terre. — Latin, *aro*, même sens. — Εαρ, printemps. — αἴρω, lever, soulever, élever. — Ὄρος, montagne, colline. — Ῥαιω, briser, détruire. — Latin, *oriri*, naître. — *Ar*, nez, en summérien. — Latin, *ruo*, jeter sur, pousser ; *os*, genitif, *oris*, bouche ; *hure* ; *ire*, aller ;

3, 4 et 5. — En scythe, *oïor* signifiait homme (Herodote, IV, p. 110). — Ουρος, queue, postérité. — Mogol,

ere, homme. — Tertare, *er*, homme. — Ἔρως, heros. — Ὄωρ, femme. — Allemend, *herr*, homme. — Latin, *heres*, héritier *(hoir)* ; *herus*, maître ;

6. — *Rayer*, *raie* ;

7. — Sanscrit, *aria*, ancien, vénérable. — Ἥρως, héros.

8. — Ἔραω, aimer, désirer ; ἔρως, amour.

9 et 10. — Ὥρα, la saison de la sécheresse et de la reproduction, c'est-à-dire l'été, d'où l'idée de chaleur. — Latin, *uro*, brûler, dessécher, incendier, enflammer ; *areo*, être désséché ; *ara*, autel, lieu où on brûle les victimes.

11. — Ὄρος, montagne. — Ὅρος, limite, but. — Latin, *ora*, bord, extrémité, éminence.

12. — En georgien, non, se dit *ara*, comme en kabile. — En tamachek, +□⋮ *ahret*, *haret*, et +□ *aret*, signifie « chose » et « rien ». En français *rien* a d'abord signifié *chose*, puis et devenu négatif ; comparez le latin *res*, chose. — *Ara* est sans doute une dérivation de *ara*, *embryon*, chose encore non existante, non en vie, chose à venir. — *Ara* peut aussi reproduire l'idée de *nuit*, l'idée du temps de la lune et être apposé à ⊡ *as*, soleil et affirmation. — Enfin il peut encore se rapporter à l'idée de sécheresse qui conduit à celle de privation ; l'expression triviale *être sec de* pour *être privé de*, comme la mezabia *tor*, être avare, rentrent dans ce même ordre d'idées ;

13. — *Ir* s'emploie le plus habituellement avec les affixes personnels et le préfixe ∧ *(cum)* +≤□∧ *dirit*, avec méchanceté de lui, lui méchant ; comparez le grec Ιρα, mal sacré, épilepsie ; le français *rouer*, *rouerie* ; le latin *ira* (colère) ;

14. — Ὄρος, limite, but ; *rue*, *ruer* ;

15. — Ορω, dire, prier, appeler, invoquer. — Εἴρω, dire, proclamer, annoncer, haranguer ; Ῥυειν, *hurler* ;

16. — Sens dérivé du n° 1 ; la lune est la compagne, le reflet de *Enn* ;

17. — Рнн, couler. — ροος, cours, écoulement. — Sanscrit : *Ri*, couler. — Latin : *Ros*, rosée. — ὀρος, sérosité, petit lait ; français, *roûir*, *ru* ;

20. — Sens dérivé des phases ou époques lunaires, voir n° 1 ;

21. — 𓐍 *Ar*, détacher expliquerait, à la rigueur, 𓎛𓐍 *Iari*, circoncire ; mais il est peut-être plus exact de rapporter ce mot à *Ieru*, la divinité berbère ; la circoncision étant avant tout une consécration religieuse.

𓐍

Valeur hiéroglyphique. — Le soleil.

Valeur idéographique. — ***Ess, Ass, Esus, Ausus, Osos, le soleil*** (placé ici après *Err*, la lune, parce que chez les Berbères qui, comme les Celtes, comptent par nuit, celle-ci précède le jour). — *Ess* est la manifestation éclatante et la splendeur rayonnante de l'être suprême. — C'est le *mobile* par excellence, celui qui, chaque jour, régulièrement, occupe toutes les positions entre le zénit et l'horizon ; pour cette cause, c'est le symbole du mouvement, de la situation, du départ et de l'arrivée, de la diffusion, du compuct, etc. C'est aussi le *moteur* par excellence, le régulateur, le repère, la source et le dispensateur de la chaleur et de la lumière dont l'action bienfaisante éclaire, réjouit, maintient et permet la vie.

Le dieu *Ess* était adoré des anciens Berbères sous les noms de *Osus, Ozza, Ausus, Austa*, noms qui nous ont été conservés par les inscriptions latines.

Valeur phonétique. — *S.* Nom, *Iess.*

Remarque : La forme primitive est 𓐍, la forme moderne est depuis bien des siècles 𓇳 ou ⊙. Ce dernier sigle est le même ; 1° que l'hiéroglyphe égyptien signifiant soleil ⊙ ; 2° que le signe employé par tous les astronomes pour désigner le soleil, alors que le signe ○ sans point représente la lune ; 3° que le sigle lybo-phénicien ayant la valeur de *B*.

Lettres-racines et radicaux d'une seule consonne

1. — 𓐍 *As*, soleil, jour (K.) ; *Assa* (A.), aujourd'hui ; *Asso* (Mz.), aujourd'hui ;

2. — 𓈖𓐍 *Esou*, boire ;

3. — 𓈖𓐍 *Asou*, étendre ;

4. — 𓐍 *As*, aller, aller en avant, se diriger vers, présenter (et tous les sens actifs, passifs ou neutres de *Movere*) ;

5. — 𓐍𓎛 *Is, Ais*, cheval, et 𓐍𓎛𓎛 *Aïs*. — 𓈖𓐍 *Asou, esou*, bœuf, bufle. — 𓇳 *Isi*, mouche ;

6. — 𓐍 *Isi* (Somali) ; *tousa* (A.) ; *ioucha, touch* (Mz.), présenter, donner. — *Isa, icha* échanger, acheter ;

7. — 𓎛𓐍𓈖 *Eousi*, et 𓎛𓐍𓇋 *chousi*, être joli, brillant, resplendir (être soleil). — 𓐍 *Isa, icha* (A.), être content, rayonnant ;

8. — 𓇳 *Es, S*, de, d'entre (*ex* des latins), par, avec, au moyen de (*per* du latin), selon, d'après, en conséquence de, pendant, à, en, vers ;

9. — 𓇳 *Sé*, et 𓇳 *Séoui*, où (avec mouvement) ;

10. — 𓇳 *Esa*, sept ;

11. — 𓇳 *As*, afin que, lorsque, pour que, depuis que, lors. 𓈖𓇳 *Soui* (Mz.), depuis ;

12. — 𓎛𓐍 *Isi*, Os (Zg.) ;

13. — 𓊪 *S*, affixe personnel de la 3e personne ;

14. — 𓊪 *S*, préfixe formatif des verbes causatifs, transitif ;

15. — 𓊪 *S*, préfixe des ethniques, avec le sens de (8), venant de, fait de, ayant pour père, etc. ;

16. — 𓋴𓊪 *Si*, et 𓋴𓏏𓊪 *si* et *shi*, père, même idée que (15) ;

17. — 𓃀𓊪 *Ousou*, tousser.

18. — 𓃀𓊪 *Isou*, chauffer, cuire ;

Les différentes valeurs de la lettre racine 𓊪 *S*, ont toutes pour point de départ une idée solaire : cette lettre *S* existe, en effet, dans presque tous les vocables primitifs servant à désigner les dieux solaires ; et ses sens dérivés se retrouvent dans la plupart des langues indo-européennes. Ainsi :

1. — Dieux solaires : *Ozza* chez les Sabéens arabiques. — *Esus* chez les Celtes. — *Æsar* chez les Étrusques. — *Uschas*, l'aurore, en persan. — Ἠώς, aurore, orient. — *Sol*, des Latins, qui est 𓊪 *Es* ‖ *L*, *dil*, dieu suprême. — Ζεύς, Jupiter, qui fut d'abord Ζις, n'est autre chose que le reduplicatif de 𓊪 *As*, soleil. Ζις est pour *Asas* ; *S* s'est changé en *Z* par suite d'une loi d'euphonie qui existe encore aujourd'hui dans la grammaire berbère, et qui veut que 𓊪 préfixe devienne *Z* devant un radical commençant par *S* (Voir Hanoteau, *Grammaire tamachek*, p. 69). Ἀείρω, mouvoir. — Αἶσα, sort, destin. — 𓋴𓊪 *Iesus*. — Ὅσιος, sacré. Remarquons que Platon dérivait Θεός, dieu, de θεῖν, *courir*, « parce que les premiers dieux étaient le soleil et la lune (1) ; »

2. — 𓃀𓊪 *Esou*, boire ; le soleil est le grand ; *essuyeur*,

(1) Platon, Crat. 397, cité par Max Muller, t. II, p. 136.

le grand buveur de la rosée, de l'humidité, — celui qui fait boire ou donne soif ; comparez le bourguignon, *soi* ; berry, *soue* ; wallon, *seu* ; français, *soif*, *suer* ;

3. — Les métaux malléables, c'est-à-dire s'étendant, ont pour nom : *Ayas*, bronze, en sanscrit ; — *Aes*, cuivre, bronze, en latin ; — *Ais*, fer, en gothique ; — *Ausis*, fer, en borusien ; — *Aset*, *ouzal*, fer, en berbère ;

4. — Sanscrit : *Ishu*, flèche. — ωκεανός, plus près. — Αἴσσω, s'élancer, agiter. — Ἰός, flèche ; ὀϊστός, javelot, arme de jet. — Allemand, *has*, lièvre, coureur. M. Olivier (*loc. cit.*), fait remarquer que dans les langues anciennes, les radicaux, signifiant *être* et *aller*, se font de fréquents emprunts : Sanscrit, *as*, être ; *as*, être rapide. — Latin, *esse*, être ; *es*, tu vas ;

5. — Ce sont les animaux marcheurs, mobiles par excellence ; — aux chevaux (sanscrit, *açoua*) et aux bœufs, on peut ajouter les moutons (en grec, ὄις, brebis), les porcs (ὗς), etc. — Chez les anciens Berbères, le bœuf était non seulement un bien meuble, mais c'était aussi, comme le cheval, un moyen de transport ; les attelages de bœufs et de buffles, chez les Touareg, ont précédé les chameaux. — En outre, dans toutes les langues indo-européennes, il y a connexion entre les idées de soleil et de chevaux. Ἠώς, *Eous* était le nom d'un des chevaux du soleil. — Allemand, *ochs*, bœuf. — Latin, *asinus* ; Anglais, *ass*, âne ;

7. — Sanscrit, *vas*, être brillant ; l'anglais *yes*, le français *si*, *oui*, sont pour : c'est évident, c'est clair comme le soleil, c'est soleil ;

8 et 9. — *Ex* du latin. — *Es* du français, dans ès sciences, etc. — ἐς ἐ et ες, du grec (dans, en, vers, pour, jusqu'à, etc. — *Suivre*, *suite* ; berry, *suir*. — *sus*, vers.

10. — Voir plus loin la théorie des noms de nombre ; en summérien, *SU* signifie légion.

11. — ὅς, lorsque ;

12. — *Os*, génitif, *ossis*. — Les *os* sont les leviers, les moteurs du corps ; en chaouia, en kabyle et en mzabia, on retrouve la même idée avec un mot composé : 𓂋𓂋 *ires*, qui se décompose en 𓂋 *ar*, origine, germe et 𓂋 *is* (du) mouvement, (de la) locomotion ; grec : ἶς, fibre, nerf ;

13, 15 et 16. — *OS*, celui qui. — Latin, *IS*, celui-ci. — Arménien, *IS*, *Sa*, ce, cet. — Géorgien, *ES*, lui. — Sanscrit, *csah*. — Turc, *chou*. — Lapon, *As*, lui. — Comparez aussi le pronom démonstratif scyto-médique *SA* (hic, hæc, hoc), qui, comme idéogramme, a le sens de peuples, gens de. Cet idéogramme est représenté par trois coins ⁖ ce qui correspond aussi, à la lecture, ka, ki ; il précède les noms de peuples dans la plupart des textes cunéiformes assyriens et se lit ka, ki ; il les suit, au contraire, dans les textes mèdiques, où il se lit *Sa*. — D'autre part, 𓂋 qui, avec le sens *ex* du latin et au commencement des noms de peuples, a, en berbère, le son *S*, se lit, en lybo-phénicien, *B* ; mais il garde son sens de *originaire de, formé de, ayant pour père ; ab* en sémitique, *si* en berbère ;

16. — Summérien, *Sa*, maître ;

17. — *Oussou*, tousser, dont la 6e forme, tousser fréquemment, est 𓂋 + *toussou*, qui se rapproche singulièrement du latin *tussio*, et du français *tousser*. — ⁖𓂋 *oussou*, n'est déjà qu'un fréquentatif de 𓂋 *as*, *movere* (à la 9e forme) ; la toux n'est-elle pas un mouvement fréquent, un *accès* ou une série d'accès ?

18. — Latin, *asso*, je fais rôtir.

𓇋 = 𓇋

Valeur hiéroglyphique de 𓇋 — Le sillon de l'éclair.

Valeur idéographique. — L'éclair qui avertit, *frappe*, engendre le feu et la lumière, éclaire, embrase l'horizon, etc. C'est encore l'avertissement humain, le coup de sifflet.

Valeur phonétique. — *I*. Nom moderne, *Ii*.

Remarque. — Soit que la forme primitive se soit altérée en passant par les formes 𓏲 𓏲 pour arriver à 𓇋, soit qu'il y ait eu confusion entre les idées dérivées du feu et de la lumière de l'éclair, et celles dérivées du feu et de la lumière de la lune, toujours est-il qu'il n'est resté de 𓇋 avec sa valeur première, que deux racines : 𓇋 *ii*, être mâle, et 𓇋𓇋 *ii*, laisser, et que ce sigle est devenu une aspiration, un signe voyelle que nous étudierons plus loin. Tous ses sens sont passés à 𓇋 *ieff*, qui peut être ainsi défini :

Valeur hiéroglyphique de 𓇋 — Les deux croissants de la lune au début et à la fin de sa phase.

Valeur idéographique. — Les croissants extrêmes de la lune, ses phases ; d'où les idées de lumière, de croissance, de supériorité, d'élévation, de pointes, etc.

Valeur phonétique. — *F*. Nom moderne, *Ieff*. — Formes : 𓇋 et 𓏲.

Lettres-racines et radicaux d'une seule consonne

1. — 𓇋 *Afa*, lumière. — 𓇋 *Effou*, faire jour, éclairer. — ⁖𓇋 *Fo*, évidemment ;
2. — 𓇋 *Af*, trouver ;
3. — 𓇋 *If*, valoir mieux, surpasser, exceller, s'enfler, s'étendre, augmenter, s'épanouir, se fendre, se diviser, se ramifier, devenir ;

4. — ⵉⵖ ⵉ *If*, tête (Zg.);

5. — ⵉⵖ *Iff*, (Mz.). — ⵉⵖ ⵉⵖ *Fouf*, *foufou*, téton, sein;

6. — ⵉ ⵉⵖ *Effaï*, verser, répandre, étaler, sortir, ouvrir, se vider, s'éparpiller, décroître, diminuer. — ⵉⵖ *fée*, eau (B. du haut Nil);

S'il est naturel de représenter graphiquement l'éclair par un zig-zag plus ou moins accentué, il est fort difficile de représenter phonétiquement soit le sifflement qui précède ou accompagne le bruit de la foudre, soit le coup de sifflet humain ou cri d'avertissement. Chacun l'entend et l'exprime d'une façon un peu différente, en faisant usage des diverses sifflantes et pseudo-sifflantes, comme *S*, *Z*, *Ch*, *Ts*, *J*, *F*, *I* et *Psi*. — Aussi, dans les langues indo-européennes, dont les alphabets sont de la même famille que les tifinar, il y a souvent confusion ou mutation entre ces différentes lettres, soit comme forme, soit comme son: à ce titre, il est intéressant de rapprocher du tifinar ⵉ (*I* aspiré) ⵊ ⵌ ⵎ ⵊ (*F*, *J* et *Z*), les caractères suivants :

ⵌ = *S*, en lybique, phénicien, ancien arabique, sabéen, éthiopien et grec;

ⵊ = *Z*, en phénicien, arabique, sabéen, tamachek;

Η = *Éta* grec;

ⵎ = *Ts*, en ancien arabique et sofastique (Halevy);

Ζ = *Z*, en grec ς et ξ;

ⵚ = ص *sod* = *S*, en phénicien et ancien arabique;

ⵉ = Forme archaïque du *Iota*, *i* des Grecs; — forme du *Iey* ou *i* tamachek.

Le η, *éta* grec, qui se prononce *I*, et qui fut un des premiers signes d'aspiration, a la forme du ⵊ *ieff* tamachek, qui succéda au ⵉ *iey*, qui lui-même a la forme archaïque de l'*Iota*; le *digamma* grec, qui, lui aussi, est une aspiration, sonne *F*. Or, en latin, en espagnol et en berbère, *F*, *H* sont souvent équivalents : *hircum*, bouc, *Arcum*; — *hermoso*, beau, *formosus*. — ⵅ ⵍ ⵅ *ehoulagh*, bouc. — ⵅ ⵍ ⵜ *afoulagh*. — Chez les Romains les formes de Y et de V, qui est F ont été longtemps confondues; les radicaux sanscrits par Y (*goug*) sont, en grec, écrits par Z (ζευγ) et en latin, par I ou J (*jugus*). Il y a là tout un ensemble de rapprochements qui ont une cause commune, et que nous complètent les comparaisons ci-après faites entre les sens de la lettre-racine berbère *ieff* et les sens de quelques vocables des langues indo-européennes.

1. — φως, φαος, lumière. — οφις, serpent, animal qui a les ondulations de la flamme. — παιων, Pean, hymne en l'honneur d'Apollon, dieu de la lumière (P = F). — Français, *Feu* et *Fou*. — L'étymologie classique de *Fou* est *follis*, soufflet (Voir Littré, Larousse, etc.). On en rapproche le bourguignon *Fo* et les mots *Fol*, *Foll*, *Folh* des langues néo-latines, du gallois et bas-breton. Le sens analytique serait : « tête enflée et vide, » ce qui est bien forcé et même peu conforme à la vérité scientifique; car rien n'est moins vide que la tête d'un fou. Si, au contraire, de cette idée de folie, nous rapprochons le sens du mot *illuminé*, et si nous tenons compte de ce sentiment superstitieux qui, chez tant de peuples, fait regarder le fou comme un être mystérieusement en rapport avec la divinité, nous sommes conduit à voir dans le vieux mot barbare ou berbère ⵅ ⵉⵖ *afou*, éclairer, l'origine du mot *Fou*. La forme *FOL* serait explétive.

ⵉⵖ illuminé;

ⵍ (par la) divinité;

embrasé de lumière divine, ou simplement illuminé (25e forme dérivée). Les Gaël, Kimriques, Burgondes ou autres, ont pu l'introduire chez nous, après l'avoir pris

des Touraniens, dans la Haute-Asie. Avec cette étymologie, le sens analytique est plus rationnel pour *Fou*, et on s'explique aussi beaucoup mieux la valeur de l'expression « vierge folle »;

2. — Trouver, c'est rencontrer ce qui est en lumière. — ⲙⲡⲉ, tact, toucher, contact, prise. — Latin, *Flo*, arriver, résulter, deviner. — L'arabe ﻓﺎﺩ *profit*, est la 4e forme des noms verbaux de 𓃀

3. — *Japhet*, extension qui a été rapprochée du sanscrit *Juvan*, du grec ⲱⲱⲱ pour ⲱFⲱⲱ, est la 5e forme de 𓃀 d'où son sens : extension. — De même, *Ioucef* (Joseph), qui a à peu près le même sens, est la 2e forme de 𓃀 — ⲫⲱⲱ, faire croître, enfanter. — En cochinchinois, *FA* signifie beaucoup, et devient l'indice du pluriel quand il est placé devant un substantif. — *Fieu*, *Jef*, latin, *ofa*, masse de choses. — Anglais, *foe*, ennemi (envahisseur);

4. — ⲙⲙ, sur, à la tête de. — *If*, l'arbre qui dépasse. — *Fût* (colonne). — Allemand, *auf*, sur;

5. — Latin, *uber*, sein; — *uber*, fertile;

6. — Latin, *fusus*, *effusus* (de *effundo*, radical : *Eff*), versé, répandu. — Anglais, *offen*, large, ouvert. — Allemand, *ofen*, feu.

+

Valeur hiéroglyphique. — Une étoile.

Valeur idéographique. — *Tata*, l'étoile, l'étincelle divine, l'émanation de *Ere*, un des éléments de sa suite, de son cortège; son accompagnement. — L'étoile, œil de Dieu, source de la lumière douce et pure; point de repère ou de direction pour le voyageur; — la créature par excellence, être ou chose. C'est aussi l'étincelle qui vient du

feu et engendre le feu, d'où la fille, la femelle qui est engendrée et engendrera. + *Tata* était une déesse berbère adorée en Afrique, et dont le nom se retrouve comme désignation topographique de plusieurs montagnes; on trouve aussi *taout*, qui est le nom de la dame chaldéenne, — *taout*, la grande dame.

Valeur phonétique. — *T.* Nom moderne, *Iett.*

Lettres-racines et radicaux d'une seule consonne

1. — 𓇼+ *Ta*, *at*, *ata*, étoile (sens donné par les dérivés). — *Tata* (Mz.), esclave affranchie remplissant le rôle de mère ou de duègne;

2. — ++ *Taout*, *taot*, *tet*, jeune fille vierge et nubile;

3. — + *Ta*, elle, celle-ci, celle, cette, celle de;

4. — ++ *Tit*, œil, source. — *Teit* (T. S.), intelligence, esprit;

5. — ++ *Tit* (Zg.), vrai, visiblement;

6. — ++ *Tet*, téter, tétine, bout du sein. — Manger constamment, sans discontinuité (comme l'enfant qui tète);

7. — ++ *Tet*, affixe pronominal, 3e personne féminin;

8. — 𓂝+ *Ti*, *ta*, et + *at*, Père;

9. — +𓂝 *Ait*, *at*, *it*, fils, en réalité au père, appartenant au père, ayant pour père;

10. — +⁚ *Ouatta* (Mz.), descendre;

11. — +𓂝 *It* (Zg), nuit; 𓃀𓂝 *ith*, *iedh* (B.), même sens;

12. — + *Te*, *ti*, affixe personnel, 3e personne masculin;

13. — + Préfixe et affixe de verbes d'habitude, de fréquence, d'énergie, de verbes passifs, de verbes de transition à un état. — Préfixe et affixe de nombreux noms dérivés (caractéristique des féminins, des diminutifs, des noms d'individualité, etc.), lettre intercalaire formative de pluriels, etc.;

14. — + *Ti* (A.), depuis;

15. — :+ *Itaou, ataou,* oublier;

16. — +ⵜ *Iett,* une;

17. — + *Toa,* lampe (Somali).

L. Rinn.

(A suivre.)

NOTES
POUR SERVIR
A
L'HISTOIRE DE L'INSURRECTION
DANS LE SUD
DE LA PROVINCE D'ALGER
DE 1864 A 1869

SECONDE PARTIE

(Suite. — Voir les nos 136, 137, 138, 139, 140, 141, 142, 143, 144, 145 et 146.)

XI

Les forces insurrectionnelles se reconstituent et se groupent autour du marabouth mourant. — Il fait jurer, en présence de sa mère, aux principaux de ses adhérents, qu'ils vengeront la mort de Sid Sliman et la sienne, et qu'ils soutiendront son jeune frère et successeur Sid Ahmed-ould-Hamza. — Retour de Sid El-Ala de sa mission dans le Sud. — Mouvement des rebelles vers le Nord. — Sid Ahmed-et-Tedjini à Bou-Semr'oun. — Tentative d'assassinat sur la personne de Sid Mohammed-ben-Rian. — Mise en mouvement de la colonne de Géryville. — Combat de Kheneg-Souez. — La colonne se dirige sur El-Abiodh-Sidi-Ech-Chikh. — Combat de l'oued Dir'em. — La colonne se dirige sur Chellala. — Combat de Chellalat-el-Gueblia. — Combat entre Chellala et Aïn-Tazina. — Rentrée de la colonne à Géryville. — Mouvements de la colonne

moissons emmeulées autour des maisons. Le général fit respecter leurs propriétés, et alla camper le jour même à Tala-Mziḍa, près de Kelaa, où les gens de ce village apportèrent une copieuse diffa à la colonne.

Pendant la journée du 9, une soixantaine d'officiers allèrent visiter El-Kelaa, village admirablement fortifié par la nature, d'où les Oulad-Mokran ont longtemps défié la puissance des Turcs; ils y reçurent l'accueil le plus hospitalier.

Le 11 juillet, la colonne ayant terminé sa mission, les troupes se séparent pour regagner leurs garnisons.

Bien que les résultats obtenus dans cette campagne aient été très importants, l'œuvre entreprise n'avait pas été achevée, puisque la tribu des Beni-Mellikeuch qui, plus que toutes les autres, avait mérité un châtiment exemplaire était restée impunie.

Pourquoi nos troupes, avant de se séparer, n'ont-elles pas donné à cette tribu turbulente une leçon bien méritée, ce qui n'eût pas été bien difficile, son territoire n'étant pas plus inabordable que ceux que nous avions visités? C'est ce que nous n'avons pu éclaircir.

N. ROBIN.

(A suivre.)

(2)

ESSAI
D'ÉTUDES LINGUISTIQUES & ETHNOLOGIQUES
SUR LES
ORIGINES BERBÈRES

(Suite. — Voir les nos 147 et 148.)

La lettre ⵜ est une des lettres berbères dont la prononciation varie le plus d'un dialecte à elle correspond, selon les endroits ou selon les mots, aux lettres arabes ت, ث, ط et même ظ, aux lettres grecques θ et τ, au *th* anglais, au *ts*, *ts*. Elle se confond avec le ⵣ dans beaucoup de cas et dans beaucoup de localités.

Les différents sens de cette lettre-racine se prêtent aux rapprochements suivants :

1. — *Theia*, la fille du soleil, dans la mythologie grecque. — Sanscrit, *atta*, mère, sœur aînée, tante. — Gothique, *aithei*, mère. — Sanscrit, *ta*, croître, être fort; *ta*, honorer, vénérer. — τίω, honorer. — θεῖος, oncle; θεία, tante; θεός, dieu; θεά, déesse. — *Tueri*, défendre, protéger. — *Tutor*, tuteur. — *Hutte*; bourguignon, *hotè*, *autau* (maison); wallon, *teu*, toit. — L'influence tutélaire et protectrice de l'étoile est une superstition qui a traversé les siècles, au moins comme allégorie;

جامعة بكر بلقايد تلمسان
مكتبة العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

2. — Le mot kabyle si connu, *temtout, femme*, ++⊐+ est une forme verbale de ++ *tout,* forme qui indique un fréquentatif de passivité, — ou bien c'est un mot composé de *tout,* jeune fille nubile, et de *tem* ⊐+ celle mère : la femme est la jeune fille devenue mère;

3. — Comparez l'article anglais *the*, et les démonstratifs *they, that ;*

4. — Ce sens de source est probablement le même que 6 *tet,* bout de sein. Les sources sont les yeux de la terre, comme en arabe عين. Comparez en grec *Tethys,* la déesse des eaux; l'allemand *thauen,* couler, distiller; *thau,* rosée (qui n'a lieu que par les nuits étoilées). Rapprochez le grec θεωμαι, θεαομαι, voir, considérer; ταως, paon (oiseau scellé), mot qui se retrouve en berbère et en arabe ⊙:+ *taous.* — τοι, vrai; θοω, s'élancer (jaillir). — *Taie,* maladie de l'œil. — Ιτεα, saule, arbre des sources. — Αιτια, cause, motif;

5. — On dit, en normand, il *étèle,* il fait *clair d'étoiles.* — Allemand, *heiter,* serein, clair;

6. — Anglo-saxon, *tite,* mamelle, *eat,* manger; gaëlique, *teth,* le bout de la mamelle; provençal, italien, espagnol, *teta,* bout du sein. — Grec, τιτθοω, allaiter; τιτθος, mamelle; τιθη, nourrice. — Français, *téter;*

8. — Dans les patois des îles de Friedland, on a : île d'Aunou, *aats,* père; île de Foehr, *oti,* père; dans les autres îles, *tate.* — En japonais archaïque, *hito,* homme, *unité* (conf. sens 16), perfection; gaulois, *ta,* père. « En » summérien, en médique, dans toutes les langues tar» taro-altaïques, l'idée de père s'exprime d'une manière » ressemblant à la syllabe *at;* seules, les langues sémi» tiques n'ont pas voulu de *at* pour rendre ce sens. » (*Oppert, Journal asiatique,* 1875, page 485, — mai-juin). — Rapprochez encore le sanscrit *ta,* honorer, τω, etc., cités plus haut. — *Ti,* ⋖+ en berbère, est certainement

un radical primitif; mais est-ce bien une racine? Ne serait-ce pas la 8e forme du radical-racine ⋖ *(être mâle),* forme qui est ⋖ + et signifie être habituellement mâle?

9. — ταως, compagnon. — Sanscrit, *tu,* être fort. — *État;* bourguignon, *Etay.* — *Natio, nation,* n'est que la reproduction du berbère +1 *N'ait,* clan;

10. — C'est l'étoile filante qui brille, va, s'enfle et descend vers l'horizon; le bolide qui tombe, frappe ou disparaît. De là : +:, *Out, aout* (B.), *tout* (A.), *touat* (Mz.), frapper, battre. — Ουταω, blesser. — αθω, pousser, renverser, faire tomber. — ατη, dommage, malheur. θυω, sacrifier, immoler. — Allemand, *that,* acte, action. — Anglais, *hit,* coup. — Wallon, *teg,* tailler; *tele,* coupure. — Latin, *it,* il va. — Wolof, *it,* frapper;

11. — La nuit est le temps des étoiles. — En summérien, *ti,* étoile, étincelle;

12. — Τις, τι, qui, quoi? quelqu'un, quelque chose. — ουτος, celui-ci, lui-même, etc.;

13. — Εθω, avoir coutume; θος, coutume, habitude. — ηθος, mœurs, usage. — Latin, *uti,* faire usage de, être maître de; — *tot,* tant; *totus, tout.* Anglais, *tot.* Bourguignon, *tó.* Wallon, *to.* Osque, *touto* (tout). — Comparez nos suffixes français en *té,* en *ot,* en *et* et en *elte* (pauvre*té,* chario*t,* cheva*let,* charre*tte,* pauvre*tte*);

15. — Doit être dérivé du sens 11 « être obscure comme la nuit » ou du sens 10 « disparu, comme l'étoile filante »;

16. — Dérivé du sens 4. — Θυω, brûler.

Λ ou ⊓

Valeur hiéroglyphique. — Rencontre et réunion de deux lignes; angle, porte.

Valeur idéographique. — L'angle, symbole du dualisme formant l'unité, symbole de la réunion, de la convergence, de l'association, de la solidarité, de la société. La porte, symbole de l'idée d'origine, de la sortie, de la provenance, de la localité d'où l'on vient (*mais non* de la *matière originelle* qui est ⊐ *M*, ni de la *production* qui est ⊏ *R*, ni de la *sélection* qui est ⊡ *S*, ni de l'*action* qui est ⋊ *G*).

Da ou *dé*, le dieu femelle, la déesse primordiale, nourricière des hommes. *Ga* ou *Céres*, des Pelasges, devenue la *Deméter* des Grecs. *Da*, le prototype et la racine de la *Dia* ionienne, des *Devi* et *Deva* sanscrits, de *Deus* et *Dea* des Latins, de *Hada*, la Junon babylonienne, de *Iadou*, l'ancêtre mythologique du *Khrima* indien, etc., etc.

Remarque. — La forme ⋀ semble plus archaïque que ⊓ ; les deux sont aujourd'hui également usitées.

Valeur phonétique, D. — Nom, *iedd.*

Lettres-racines et radicaux d'une seule consonne

1. — ⋀ *Ed*, aller de compagnie, aller, passer, mettre avec. — Et, avec (accompagnement de), parmi, entre, d'entre, de. — ⋀ *Ad*, habiter (Serère). — *Hadi*, toi (Somali);
2. — ⋀ *Id, idh*, homme, compagnon (socius). — ⋜⋀⋜ *idi, aidi*, chien (socius). — ⋀⋀ *Edid*, peau, peau de bouc (T. S.);
3. — ⋀ *Id, idh, ied, iedh, iod*, etc., démonstratifs isolés tenant lieu de relatifs (surtout en Zenaga); ce, ces, cet, celle, ces, etc.;
4. — ⋀ *Id, idh, iid*, etc., affixes des noms servant (en Zg.) de démonstratif pour les objets

rapprochés, juxtaposés; est opposé à l'affixe | *N*, qui sert pour les objets éloignés, qu'on montre;

5. — ⋀ *Da, di, ad*, ici, voici; — *idh*, moi (Zg.);
6. — ⁝⋀ *Addou, eddiou*, aller ensemble. — .⋀ *ieda*, obéir (Zg.) — ⋜⋀ *ieddi*, charger (un fusil) (A.). — *Addia*, ongle (Somali);
7. — ⁝⋀ *Daou, eddou*, sous. — *Ioddi* (Mz.), tomber; *iodda* (A.), même sens. — *Addai* (Mz.), en bas;
8. — ⁝⋀ *Eddou*, être joyeux;
9. — ⋀ *Deïa*, lune (Somali). — ⋀⋜ *id, ied, eâd.* ∃⋜ *idh, ied*, Nuit. — ⁝⋀ *oudou*, voyager le soir;
10. — ⁝⋀ *Dou*, compagnon de, maître de, seigneur de. — ⁝⋀ *oudia* (Zg.), maître;
11. — ⋀⁝ *Oud*, venir, arriver;
12. — ⋀⁝ *Aoud*, publier, porter à la connaissance d'autrui. — *Aad, ad, had*, usage, coutume;
13. — ⋀ *Ad*, et plus souvent ⋀⋀ *adad*, doigt, un des associés, des groupés;
14. — ⋀ *Addi*, exhaler, sentir, être odorant, odeur;
15. — ⋀ *Adda*, et plus souvent ⋀⋀ *dada*, terme de familiarité respectueuse (père, oncle, tante, etc.);
16. — ⋀ *D, ed*, préfixe des adjectifs qualificatifs ou ethniques répondant comme sens à « celui qui est inséparable de, celui qui provient de, celui qui est, celui qui a, etc. »;
17. — .⋀⋀ *Deded, dedd, dedded* (Somali), sueur.
18. — ⁝⋀ *Dou* (T. S.), son (ce qui accompagne le grain);

Le sens mystique de ⵄ *da*, déesse, se retrouve en berbère dans ⵄⵄ *dida*, ou *Marem-Dida*, qui est le nom d'une idole du Baghermi ; il se déduit de divers composés tels que le mot ⵄⵍⵎ *Abendou*, pluriel ⵄⵍⵎ *Ibounda*, qui dans le Djurdjura signifie « rayon de soleil pénétrant par les fissures des toits ou murs » (1) et se décompose en ⵎ *aba* — a envoyé ;

ⵏ *en* — ici, — ou *Enn (Anou)* ;

ⵄ *dou* — divinité.

Les valeurs diverses de la lettre racine ⵄ *D* donnent lieu aux remarques suivantes :

1. — Lapon et celte : *ad*, toi ; celui qui m'accompagne, qui va avec ; allemand, *du*, toi. — Le *De* français et provençal avec les sens de *en, fait de, d'entre, etc.* — Le latin *do*, donner ; *Duo, deux ; Ædes, édifice* (ce qui est bâti avec des matériaux rassemblés, groupés). — ⴰⵜ *et*, ⴹⵓ, lier, enchaîner. — ⴷⴰⵔ, en dans. — ⵇⴹⵎ, demeure. — Anglais, *ad*, ajouter, joindre ;

2-3. — En suménérien, *A D, père*. — Médique, *houde*, celui-ci. — Latin, *id*, ceci, cela. — Arabe ⵍⴹ, *da*, celui-ci. — Grec, ⵙⴹⵉ, ⵏⵙⵉ, celui-ci, ceci, cela, etc. — Allemand, *der, die, das*, celui, celle, ceux ;

5. — ⵉⴹⵉ, *voici, voilà*. — Allemand, *da*, là, cela. — ⵉⴹⵉⵚ, propre particulier ;

6. — Latin, *edo*, produire, rapporter ; *do*, donner. — Arabe, ⵍⵙⵍ, conduire. — Sanscrit *da*, donner. — ⵙⴹⵚ, route, voyage. — Anglais, *dou*, porter, se conduire. — *Idea, idée, — idem ;*

7. — ⴰⴷⵎⵚ, Pluton, dieu des enfers, dieu du *dessous*, de l'intérieur de la terre. — ⴹⵓ, s'enfoncer ;

(1) Sens donné par M. le général Hanoteau, *Chants populaires de la Kabylie*, p. 62, note.

8. — ⵄⴷⵓ, chanter. — ⵀⴷⵓ, réjouir, charmer. — ⵀⴷⵓⵚ, *doux*, agréable, gai ;

9. — ⵍⴷⵓⵚ, violet, par excellence la couleur du mélange ; ou, la couleur sombre. — La nuit est le temps où on se réunit ; où on marche serré, — c'est aussi l'indication (du temps) chez un peuple qui compte par nuit et non par jour — la nuit est le temps de la crainte. ⴰⴷⵓⵚ ; — Anglais, *die*, s'éteindre, mourir ; *dye*, teindre, colorer ;

10. — Mot passé à l'arabe صاحب avec le sens de maître et synonime de صحب *sahab*, compagnon de. — Comparez le *De*, nobiliaire français, *de*, de possession ou d'origine ;

11. — Latin, *ad*, vers (*adeo*, aller vers, venir) ;

12. — Latin, *audire, ouir*, entendre dire, écouter ; — *edo*, proférer déclarer ; *édit*. — ⴰⴷⵓ, chanter, *ode ;*

13. — Latin, *edo ;* sanscrit, *ad*, manger ; parce que primitivement on mangeait avec ses doigts. — Hébreu, *id ;* arabe, يد *ied*, main. — ⴰⵎⵚ, repas. Rapprochez aussi les Dactyles Idéens grecs (et voy. Strabon, L. X, chap. III. 22). Le Mont Ida en Phrygie était plutôt un *nœud* de montagne, un *groupe* montagneux qu'un mont isolé. Il s'en détachait quatre branches se terminant par quatre promontoires, quatre doigts ; les « idéens dactyliens » cet image de la main (sans le pouce) est très remarquable. — Comparez aussi le vieux français des 11e, 12e et 13e siècles où on trouve *dei, doie, doi*, au lieu de doigt, ce qui semblerait montrer qu'à côté de l'origine latine *digitus*, rattaché au sanscrit *die*, montrer, il y a une origine berbère (ou barbare). — ⵙⴷⵓⵚ, dent (objets juxtaposés et groupés comme les doigts) ;

14. — Latin, *odor ;* français, *odeur ;* grec ⵙⵣⵓ, sentir, dont le radical est ⵙⴷ ;

15. — ⴰⵍⴷⵓⵚ, respect, pudeur, crainte.

𓄿

Valeur hiéroglyphique. — Les deux bras ou les deux jambes.

Valeur idéographique. — Symbole de l'activité humaine, de l'activité animale et de l'activité des forces de la nature : nous dirions en langage moderne, symbole de l'activité générale et de l'attraction moléculaire.

Valeur phonétique. — *G. K. J.*, selon les dialectes. Nom moderne, *Iegg, Iekk, Iejj*.

Remarque. — Cette tifinar a, à peu près, la même figure que l'idéogramme égyptien des verbes de mouvement 𓂝 et aussi que le γ gamma minuscule des grecs : elle a aujourd'hui la double forme 𓄿 et 𓄿 et même 𓄿 formes, tantôt confondues dans la prononciation ou l'orthographe, tantôt formant deux variétés gutturales bien distinctes : 𓄿 sonne alors *J* un peu dur et 𓄿 sonne *ou, gh*.

Lettres-racines et radicaux d'une seule consonne :

1. — 𓄿 *Ek, eg, ej, ak, ag, ig, ika, aka, iouka, iouga, etc.*, agir, être ou entrer en action ou en mouvement, faire, prendre, mettre, jeter, s'accoupler, pousser devant soi, conduire, s'agiter, aller, passer, combattre, épouser, peiner (neutre), etc., en un mot tous les sens du latin *ago* et du grec ἀγω, et ἀχθ. — 𓄿 *iokka*, 𓄿 *ahog*, 𓄿 *agh*, 𓄿 *aough*, prendre, saisir, piller. — 𓄿 *Koua* (K.), force, vigueur. 𓄿 *ikala* (Zg.), chasser le gibier, pous-

ser devant soi. — 𓄿 *iaka* (Zg.), donner produire. — 𓄿 *iokki*, porter. — 𓄿 *ika* (T.) et 𓄿 *iaka* (Zg.), charger une bête de somme. — 𓄿 *eki, egi*, s'éveiller, se mettre en action. — 𓄿 *oudj*, cœur (agent de l'activité vitale) ;

2. — 𓄿 *Ag*, fils, agent. — *Idj* (Zg.), homme ;

3. — 𓄿 *Ek*, dans, de, préposition du génitif dans certains dialectes ;

4. — 𓄿 *Aga*, instrument outil, sceau en cuir. — *Kaa*, terre, sol, fonds. — *Edj* (Zg.) quelque chose. — *Ago*, pied (somali). — *Idj, ij*, bras (Zg.). — *Éké* (T. S.), souche, racine ;

5. — 𓄿 *Ga*, voir. — *Ouga* (B.) et 𓄿 *ahag*, certifier, témoigner, affirmer. — *Agi* (K.), affixe démonstratif : ce, celui, celui-ci, celui que voici ;

6. — 𓄿 *Ougi*, saisir étroitement, serrer, retenir, refuser, ne pas vouloir. — *Iaga* (Zg.), peiner (actif et passif) ;

7. — 𓄿 *Ika* (T.), passer, quitter, laisser faire, permettre. — *Egi, éji* (K.), même sens. — *Ejj, edj*, abandonner, délaisser. — *Ejj, edj* (Mz. et Zg.), pardonner. — *Egé* (Poul), faim, besoin ;

8. — 𓄿 *Ek*, tout, chaque (plus souvent écrit 𓄿) ;

9. — 𓄿 *Ek*, toi, caractéristique de la 2e personne (souvent écrit 𓄿) ;

10. — 𓄿 *Ag, ek, G. K., ga, ka, etc.*, affixe ou préfixe des noms d'agents, d'animaux, de patient, de substance, de métier, d'instrument ; noms de résultat, de conséquence, de etc. ;

11. — 𓂝𓐍 *Ik* et 𓂝𓏏 *hik*, vite (*eka*, passer);

12. — 𓁐𓂝 *Kou*, *gou* et plus souvent 𓁐𓁐 *kou*, *si*, dubitatif (variation du sens 7);

13. — 𓂝 *Gat* (Somali), couper; *gok*, fossé profond;

14. — 𓂝 *Ige* (Zg.), éléphant, dérivé de 7; *koua*, force;

15. — 𓂝 *Oudj*, *ondj*, lait (Zg.);

16. — 𓂝 *Iguiou* (Zg.), chanter;

17. — 𓂝 *Ouki* (K.), se coucher, s'étendre, dérivé de 7, laisser aller, ou de 4, *kaa*, terre.

En grec, *Gœa*, divinité de beaucoup antérieure à la famille des dieux homériques, était la mère qui conçoit, enfante et nourrit; elle était unie à *Ouranos*, le père qui féconde, et elle fut de bonne heure identifiée et confondue avec *Rea*, *Cybèle* (Κυβέλη) et *Da* ou *Demeter*, qui ne sont que trois types de cette même *Gœa*. Or, en berbère, nous voyons souvent ces trois lettres 𓂝 *G*, *K*, 𓉔 *R*, et 𓌙 *D*, avoir des sens communs et jouer le même rôle dans des radicaux différents : 𓉔𓁐 *our*, et 𓂝 *ag*, s'emploient dans le sens d'enfanter et fournissent les mots 𓉔𓁐 *our*, fils ou homme; 𓂝 *ag*, fils ou homme; et 𓌙 signifie aussi, homme, et même, originaire de.

Nous avons déjà rappelé, à propos de 𓊪 (1), qu'en écriture cunéiforme, le sigle 𒁹 idéogramme indiquant les noms de peuples, pays, villes, se lisait phonétiquement *SA* ou *KA*, selon les dialectes. La tifinar berbère 𓂝 (que nous montrerons être identique à 𒁹), présente la même singularité : c'est *G* ou *K* en tamachek, c'est *S* dans les dialectes néo-puniques.

Voici maintenant les principaux rapprochements auxquels se prêtent les différentes valeurs de la tifinar berbère 𓂝 *K* ou *G* :

(1) Voir le numéro précédent de la *Revue africaine*, page 250.

1. — Latin, *Ago*; grec, Ἀγω. — Summérien, *AK*, faire. — Οἰκεω, habiter. — Sanscrit, *ga*, aller. — En summérien, la lune se nomme *Aku*, l'agissante, celle qui fait; en chaldéen et en berbère, c'est *our*, celle qui fait, qui enfante. — Le latin *equus*, radical : *eq*, est l'expression de la même idée que *ilis* berbère; c'est l'agissant, l'actif, l'agent, l'allant. — Latin, *augeo*, augmenter; — français, *gué* (passage); provençal, *gá*; vieux catalan, *guau*;

2. — Sanscrit, *gâ*, descendance. — Anglais, *egg*, œuf. — Summérien, *UK*, homme. — Picard, *gá* (pour gars, garçon).

3 et 10. — Rapprochez le suffixe grec des adjectifs en ικος, qui est 𓂝 *ek*, totalité, 𓊪 *S*, de lui; les suffixes du mesogothique *ags*, *egs*, *igs*, et ceux de l'allemand en *ig*;

4. — Αιγα, peau de chèvre. — *Auge* (vaisseau de bois). — Latin, *quia*, parce que. — Provençal, *quia*, façon, manière;

5. — *Aguet*; Provençal, *agah*, *aguag*; — *Echo*; Anglais, *echo*, répéter. — Εγγυη, garantie, fiançailles. — Ογε, ηγε, celui-ci, celle-là. — Latin, *ecce*, *oculus*, *hic*, *hæc*, *hoc*. — Allemand, *auge*, œil; Hollandais, *oog*; Espagnol, *ojo*; Russe, *oko*;

6. — Préfixe français *co*;

7. — Εικω, céder. — *Egeo*, avoir faim, avoir besoin. — *Quiescere* (*quies*, *quietis*);

8. — Εκαστος; chaque (superlatif de εκας). — Ογκος, grosseur, volume, enflure;

9. — *Toi*, c'est l'objectif, le but, celui qui reçoit l'action. — Nous trouvons aussi 𓂝 *ek*, comme affixe de la 1re personne dans les verbes; c'est alors celui qui agit;

11. — [illegible], vif, rapide; [illegible], vite. — *Aigue*, archaïque, eau vive, *aiguiade ;*

12. — *Kou*, signifiant *si*, correspond à notre locution française dubitative et conditionnelle : *en faisant cela..*, *en agissant..*, *il arrivera que..*, pour : si vous faites.., si vous agissez.., il arrivera.., etc.;

13. — *Aigu, aiguiser ;* — *gui*, la plante que l'on coupe ; — Wallon, *guahi*, couper; — *Queuse*, Archaïque, *queu* (pierre à aiguiser) ;

15. — Bourguignon, *cœu*, cœur ;

16. — *Gai, égayer ;*

17. — Latin, *facere*, gésir. — Wallon, *couki*, coucher.

𓃀

Valeur hiéroglyphique. — La créature (𓃀 *our*) ou la chose créée, fendue, coupée ou divisée en deux.

Valeur idéographique. — Le symbole de la coupure, du sectionnement, du partage, de la séparation, de la disjonction, de la distribution, et, par suite, de l'organisation et de la disposition; mais, plus souvent, de l'éloignement et même de la destruction et de la malédiction divine.

Valeur phonétique. — *B*. Nom moderne, *Iebb*.

Remarque. — *Iebb* placé ainsi 𓃀 est la forme lourde et anguleuse du Β, *bêta* grec, et du *B* des langues germaniques ou latines; placé ainsi 𓃀 c'est celle du Υ, φ, *phi* grec. C'est aussi la forme archaïque de l'Η, *êta* grec 𓃀

Lettres-racines et radicaux d'une seule consonne

1. — 𓃀 *Aba*, disparaître, échapper, partir, s'éloigner, être maudit. — Particule péjorative : loin de..! hors d'ici! maudit soit! — A, en composition, tous les sens disjonctifs du latin *ab* et du grec [illegible] ;

2. — 𓃀 *Ebbi*, couper, séparer, trancher, pincer, tondre, etc. — En Poul, *baé*, c'est « orphelin de père et de mère » ;

3. — 𓃀 *Ab*, boire (Somali). — 𓇋𓃀 *biou*, eau, fleuve, liquide (qui s'échappe). — 𓇋𓃀 *obbo*, bouteille (Somali);

4. — 𓃀 *Aobi*, fumée (Zg., Mz., S.), fumée (celle qui s'échappe et va loin). — 𓃀 *beïa*, encens (Somali);

5. — 𓃀 *Ibha*, beau (Mz.), bien fait, bien coordonné;

6. — 𓃀𓃀 *Abab*, être habile, expert, adroit; disposer, organiser;

7. — 𓇋𓃀 *Baou, bahou* (T. S.), fausseté, mensonge, calomnie, faux, etc. — 𓃀𓃀 *boubou*, non;

8. — 𓃀 *Abo*, frère (Somali).

Iebb peut avoir été le prototype de *Belus* et de *Baal*, qui seraient « l'envoyé de l'être suprême » :

𓋴 *aba*, a envoyé;

𓏏𓏏 *ila*, dieu.

Belus, chez les Assyriens, était le dieu organisateur par excellence. *Bin* était, chez le même peuple, « le dieu fils, le fils ; » c'était une émanation de l'*Anou* chaldéen, et son nom, qui, en berbère, signifie encore *fils*, s'analyserait ainsi :

𓄿𓂝 *Aba*, a envoyé (lui) — *missit* — *missus*;
𓇋𓈖 *Enn*, le dieu *Enn* — *Ennus* — *Enni* ou *ab Enno*.

Le dieu chaldéen inventeur de l'écriture se nomme *Nebo*, mot s'analysant de même: « l'envoyé du dieu *Enn* »; or, il est à remarquer que les mythographes assimilent le *Nebo* assyrien au *Mercure* latin ou à l'*Hermès* grec. Enfin, ce *Nebo* est le radical primitif de l'arabe نبي prophète, envoyé de Dieu (mot qui n'est, par lui-même, que la 14e forme dérivée de 𓄿 *aba*, envoyé, comme nous l'établirons plus loin).

Voici quelques autres rapprochements auxquels se prêtent les sens du *tebb* berbère :

1 et 2. — Latin, *AB, Abs.* — Grec, Απο, — Βαω (inusité qui fournit des temps à Βαινω, aller, venir, partir. — Βαιον, branche, feuille de palmier. — Βια, force, contrainte, violence. — Βοη, cri, clameur portant loin. — Anglais, *bi*, par d'après, par là. — Anglais, *bay*; Français, *bayer*, être ouvert; *bée, baie*, ouverture, coupure. — Basque, *baïa*, port; — *abée*, issue pour l'eau dans un moulin; *bout*, ce qui est coupé. — Hébreu, *oubou*, baie, découpure, échancrure du rivage. — Anglais, *buy*, acheter. — Arabe, باع vendre, aliéner. — Sanscrit, *bu*. — Anglais, *be*, être (à rapprocher du sens de *aller*; voir plus haut le commentaire sur 𓄿𓂋 *as*, aller). — Le préfixe français *bé...*, qui est péjoratif, comme dans *bévue*;

3. — *Bé*, boire. — Latin, *bibo*, je bois. — Génois, *beo*, ruisseau. — Normand, *bieu*, ruisseau. — Provençal, *bahiu*; Portugais, *bohu* = *bac*, auge. — *Boue*, plus ou moins liquide. — Anglais, *bay*, écluse; *bob*, boire; *buoy*, soutenir sur l'eau; *bouée*;

4. — *Buée, bis*, couleur fumée;

5. — Français, *beau*. — Latin, *beo*, rendre heureux (*beatus*). — Le nom propre berbère de *Juba*;

6. — Comparez, sinon comme expression phonétique, du moins comme idée, le latin *peritus*, habile, qui a pour radical, *pereo*, passer à travers. En berbère, le reduplicatif 𓄿𓄿 *abab*, exprime l'idée de passer à travers tout, d'échapper sans cesse : c'est *passe-passe*. N'avons-nous pas, en français, l'expression triviale de « tour de passe-passe, » pour dire manœuvre très habile, très adroite? — Anglais, *bee* = *abeille*, l'insecte architecte. — Allemand, *bau*, structure, disposition;

7. — Vieux français du XIIIe siècle, *bée*; et *baie* du XVe : tromperie. — Portugais, *vaya*, tromperie;

8. — *Abo*, c'est celui qui se détache ou se sépare des autres; c'est la partie, d'un tout qui est la famille. Nous avons, en français, le mot *coupon* qui correspond à peu près à cet ordre d'idées. Aussi, *abo*, qui veut dire frère chez les Berbères somali, est-il à rapprocher des mots : Anglais, *by*, près de; *babe, baby*, enfant. — Allemand, *bube*, garçon. — Grec, Βεβαω, être jeune, ardent. — Kimri, *baben*, enfant. — Rapprochez aussi *baie*, fruit qui se détache. — L'arabe *ab, abou, aba* أب! père, rentre dans ce sens général; le père est, en effet, celui qui *émet*, les enfants, et celui dont ils se séparent. — Si nous admettons le mot connu *rejeton* pour enfant, il faut bien admettre celui de jeteur ou rejeteur comme logique et possible pour signifier le père. Cette comparaison explique comme quoi la même lettre 𓃀 *B*, peut signifier, selon les idiomes ou dialectes, père, enfant ou frère.

D'autres tifinar ou lettres-consonnes furent ajoutées, plus tard, en nombre plus ou moins grand, selon les époques et les dialectes, mais celles en usage aujourd'hui ne sont toutes que des modifications phonétiques ou des variétés graphiques de la décade originelle. Elles changent souvent de forme et de son en passant d'un dialecte dans un autre, et elles sont, en général, peu im-

portantes au point de vue des étymologies premières des mots, bien qu'elles aient, dans la pratique, une valeur réelle pour fixer le sens précis d'une expression nouvelle ou pour l'étude comparée des différents dialectes berbères.

Voici celles le plus en usage :

⵼ ou ⵣ a le son du *Z* tellement adouci que c'est indistinctement *Z* faible ou *J*. C'est une lettre très rarement employée et le plus souvent remplacée par le *Z* franc ⵣ ou ⵜ *tegg (G* doux);

ⵣ *iezz*, qui sonne *Z*, peut être, soit une modification phonétique de ⵙ soit un signe hiéroglyphique spécial représentant un métier à tisser (ⵜⵣ *Zet*, tisser). C'est, au point de vue étymologique, un idéogramme qui participe à la fois de ⵙ et de ⴷ *D*, ce que résume bien l'idée de *tisser* et le verbe racine ⵣ *az*, écrit aussi ⵣⵉ approcher, rapprocher;

ⵉ *ieg*, c'est l'*ieff* primitif formant aujourd'hui la voyelle aigue et forte ⴻ *I*, mais ayant conservé, dans un petit nombre de mots, son caractère de consonne et de signe d'attention. Il forme deux lettres-racines et radicales : ⴻ *ie*, mâle; ⴻⴻ *ii*, laisser. Il sert, en outre, comme :

Préposition signe du datif;

Affixe pronominal de la 1re personne;

Préfixe grammatical signe du pluriel dans les noms; caractéristique de la 3e personne du singulier dans les verbes.

On remarquera qu'en sanscrit, le thème *I* est celui de la relation et du relatif, comme dans le vieil allemand et le gothique *ei*.

La transition, entre ces trois sons *Z*, *J* et *Y*, s'opère, en berbère comme dans toutes les langues indo-européennes, par des gradations insensibles; et, de même que le sanscrit *Yug*, unir, devient *jung* en latin et ζυγ en

grec, de même on a, selon les dialectes, les mots *agouzil*, *agoujel*, *agouil*, orphelin. D'autre part, cette lettre *Z* est aussi une modification des lettres *D* et *T*, comme nous allons le dire tout à l'heure. On voit déjà par là combien ces tifinar complémentaires ont peu de fixité et combien sont délicates les analyses étymologiques faites en les prenant pour base.

La lettre *tedh* ⵟ est dans le même cas : selon les dialectes, elle change absolument de son, et quelquefois même elle est indistinctement ⵜ *T*, ou ⴷ *D*, comme chez les imouchar; d'autres fois, c'est un simple ⴷ double ⵎ pour ⴷⴷ; plus souvent, c'est un son chuintant analogue ou identique au *th* anglais, aux *Ts*, *Tz*, *Ds*, *Dz*, son très fluide et qui se modifie insensiblement, et arrive par le *g* palatal (ou espèce de *djim* analogue au *Dz* lithuanien), à se prononcer *Z* à peu près pur, et même *S*, ainsi que l'a constaté M. Halévy dans ses études sur les inscriptions lybiques. En ceci, le ⵟ *tedh* berbère rappelle le *Z* du haut allemand, dont le son varie, suivant les dialectes, du *t* presque net à l'*S* franc.

Enfin, nous citerons encore, parmi les tifinar modernes usuelles, le ⵛ *tech*, qui a tantôt le son du *CH* chuintant, tantôt celui du *CH* allemand. Ce n'est, en réalité, qu'une variété de ⵙ *S*, ou de ⵅ *K*. Il caractérise surtout les particularités dialectiques et les mots étrangers introduits dans le berbère. (Ainsi, presque tous les mots réellement arabes en س *S*, introduits dans le kabyle du Djurdjura, prennent le son ش ou ⵛ *teeh*.)

Il existe bien encore d'autres tifinar dont les formes ont été relevées dans de vieilles inscriptions rupestres, aujourd'hui indéchiffrables pour les Berbères du pays; la valeur de ces lettres n'ayant pas été dégagée, nous n'en parlerons pas, si ce n'est pour émettre l'idée que ces sigles, là où ils n'ont pas une valeur hiéroglyphique ou idéographique, ont peut-être été jadis les expressions graphiques des sons berbères existant aujourd'hui, et que ne rendent pas complètement les tifinar usités; tels sont :

Tch, écrit en caractère arabe ou plutôt persan : چ ou ﭺ ;

V, spécial à Ghadamès et figuré : ﭤ ;

P, spécial à quelques noms propres berbères et écrit : ﭙ ;

Gn, qui existe en Zenaga et en tamachek et se rend par ا ou ن sans aucune indication particulière.

L. RINN.

(A suivre.)

VOYAGES EXTRAORDINAIRES

ET

NOUVELLES AGRÉABLES

PAR

MOHAMMED ABOU RAS BEN AHMED BEN ABD EL-KADER EN-NASRI

HISTOIRE DE L'AFRIQUE SEPTENTRIONALE

(Suite. — Voir les nos 132, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 140, 144, 147 et 148).

Le chéikh Abd El-Kader mourut dans la nuit du vendredi au samedi, 8 de Rabi-second de l'année 561. Son fils Abd El-Ouahhâb présida aux prières funéraires.

Ce grand saint initia de nombreux élèves à la connaissance des sens allégorique et littéral des écritures. Ces élèves, parmi lesquels furent ses dix fils, devinrent de savants et distingués professeurs.

La vie du chéikh Abd El-Kader a fait le sujet de plusieurs ouvrages qui sont : *Anoudr En-Nâd'er*, par Abdallah ben Nas'r El-Bekri Es-Seddik'i ; *Nezhat En-Nâd'er*, par Abd El-La'tif ben Hibet Allah El-Hachemi ; *Bahdjet El-Asrâr*, en trois volumes, par Abou El-H'assane Ali ben Youssof ben Djarir El-Lakhmi Ech-Chet'noufi (de Chet'houfa), disciple de Ali El-Marâr'i El-Hanbali, qui eut pour professeur El-Maoufek', connu sous le nom de Ibn K'orâma, élève du chéikh Abd El-Kader.

Chet'houfa est une bourgade de l'Égypte.

الخاتمة

ما يمكن قوله خلاصة لهذا البحث أن المجلة الافريقية تتسم بقيمة وثائقية لا تنكر فهي تحوي دراسات قيمة في مختلف ميادين البحث العلمي

لذلك فإن هذه الدراسة التي قمت بها حول جهود المستشرقين الفرنسيين في الدراسات اللهجية بالجزائر تعتبر حلقة في سلسلة البحوث العلمية التي تسلط جزء هاما حول هذه الدراسات اللهجية ، فمن نتائج البحث الذي قمت به أنني سلطت الضوء على هاته الدراسات و أفردت لها فصلا تناولت فيه أهم الجهود التي قام بها المستشرقون الفرنسيون من خلال المجلة الافريقية .

فالمجلة الافريقية تعتبر حقا ذات قيمة علمية و هي تحتاج كثيرا من البحوث حولها و تناولها بالدراسة و البحمث إضافة إلى ذلك خلصت من نتائج بحثي إلى ذلك الارتباط الذي حاول المستشرقون الفرنسيون إقامته بدراساتهم و إعطاءها صبغة معرفية لها امتدادات بالمشاريع الاستعمارية الفرنسية

فالدراسات التي تناولت الأمازيغية و أصول الأمازيغ كانت دراسات تهدف إلى التشكيك في الوحدة اللغوية التي صاغها الاسلام منذ قرون بعيدة ، و يمكن القول أن الغاية من هذه الدراسات هو وضع مرجع خاص بأهم الدراسات اللهجية التي نشرت لامجلة الافريقية

كما أنه يمكن القول أن هذا البحث يتسم بالتركيز على جهود المستشرقين الفرنسيين و ذكر خصوصيات الاستشراق الفرنسي فالفصل الأول الذي تناولت فيه الاستشراق كمفهوم حاولت من خلاله الوصول إلى ماهية الاستشراق و بداياته و حقيقته إضافة إلى خصوصيات الظاهرة الاستشراقية ، فلا يمكن تناول البحث و الدراسة لجهود المستشرقين الفرنسيين في الجزائر بدون إحصاء دقيق لأهم الدراسات اللهجية

التي قام بها المستشرقون الفرنسيون من خلال المجلة الافريقية منذ صدور العدد الأول لسنة 1856 و حتى آخر عدد سنة 1962

ووضعت فهرسا لأهم الدراسات اللهجية كما ضمنت هذه الجهود أعلام الاستشراق الفرنسي الذين برزوا بدراساتهم اللهجية في الجزائر و عددت مؤلفاتهم و أعمالهم في شتى ميادين المعرفة .

أما الفصل الثالث فقمت بذكر بعض الدراسات اللهجية و تحليلها و خلصت إلى أن المستشرقين الفرنسيين لم يكونوا على دراية كبيرة من الاطلاع بهذه الدراسات اللهجية و لم يوفوها حقها من البحث و التمحيص فاتسمت بحوثهم بما يسمى " التقارير العلمية "

و اعتمدت على الترجمة كوسيلة لابراز هذه البحوث ،لكن رغم اتساع البحث و صعوبة الالمام به إلا أنني أسجل أن هذا البحث يظل مشرعا ضخما ينبغي الالتزام بتطويره و تنميته من خلال مجموعات بحثية تتسم بالنظرة التخصصية للاستشراق الفرنسي هذا الاستشراق الذي يمتاز بالشمولية إذ لم يدع مجالا معرفيا إلا وغاص فيه ، و لعل الذي أصبو إليه هو تحقيق هذه الدراسات اللهجية و معرفة ما مدى إلتزام المستشرقين الفرنسيين بالقواعد و أسس البحث العلمي في مجموع هذه الدراسات اللهجية التي تراكمت على السنوات الـسماضية .

المراجع

I / اللغة الأجنبية :

1. ***Rinn (L) :*** essais d'étude linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères. Revue africaine 1881
2. ***Venture de paradis*** : un chant algérien du XVIII siècle. Revue Africain, 1894
3. ***Alexandre joly :*** remarque sur la poésie moderne chez nomade algériens Revue Africain 1900
4. ***Alexandre joly :*** remarque sur la poésie moderne chez nomade algériens Revue Africain 1900
5. remarque sur la poésie moderne chez nomade algériens Revue Africain 1903
6. remarque sur la poésie moderne chez nomade algériens Revue Africain 19040.
7. ***M.Bencheneb :*** origine du mot chachiyya Revue Africain 1907
8. ***Renet Basset :*** la légende de Bent el khess Revue Africain 1908
9. ***Destaig :*** L'ennayer chez les Beni -snous Revue Africain 1905
10. ***R.Basset :*** un conte de Blida Revue Africain 1919
11. ***A.Joly :*** poésies de sud (texte et trad.) Revue Africain 1909
12. ***A.Joly :*** sur un langage conventionnel des chanteurs arabes Revue Africain 1909
13. ***L.Mercier :*** L'arabe usuel dans le sud Oranais Revue Africain 1907
14. ***Derindinger :*** notes sur le dialecte arabe du tchad Revue Africain 1912

15. ***W.Marçais :*** les origines de la prose littéraire arabe, Revue Africain 1927
16. ***Capitaine Melors :*** notes sur la transcription en français de quelques dénominations usilées chez les touareg, Revue Africain 1904
17. ***R.Basset :*** rapport sur les études berbères et haoussa Revue Africain 1908
18. ***Michel plautt :*** études berbères Revue Africain 1946
19. ***J.Cantineau :*** la langue berbères dans les territoires
20. ***H.Marçais :*** les étude arabe en Algérie (1830-1930) Revue Africain 1933
21. ***Desparmet :*** les chansons d'Algerpendant la grande guerre Revue Africain 1932
22. ***A.Basset :*** sur le pluriel nominal berbères, Revue Africain 1942
23. ***Galand :*** la phrase berbère et la vie kabyle à la lumière de récentes publications, Revue Africain 1960
24. ***R.Bencheneb*** : l'argot des arabes d'Alger, Revue Africain 1942
25. ***G. Million :*** les parler de la région d'Alger, Revue Africain 1937
26. ***A.Basset :*** la parenté linguistique et le berbère, Revue Africain 1935
27. ***A.Basset :*** situation actuelle des parlers berbères dans le département d'oran, Revue Africain 1936
28. ***H.Fleich :*** les verbes à allongement vocalique interne Revue Africain 1939
29. ***A. Basset :*** aperçu sur la poésie vulgaire de Tlemcen, les deux poètes populaires de Tlemcen Ibn Msaîb et Ibn Triki, Revue Africain 1936
30. ***André Basset et André Picard :*** sur berbères yit a mauvais chez les Irjen, Revue Africain 1949

الفهرس

الاهـــــــداء	/
الـــمقدمـــة	ا ب ج
الفصل الأول : ***الاستشراق***	/
تـــمهيد	01
◊ الاستشراق	02
✓ تعريفه	02
✓ الغاء مصطلح الاستشراق	04
✓ وسائل الاستشراق	07
✓ الاستشراق	07
✓ بداية الاستشراق	21
* المرحلة الاولى	23
* المرحلة الثانية	23
* المرحلة الثالثة	23
* المرحلة الرابعة	24
* المرحلة الأخيرة	26
✓ حقيقة الاستشراق	26
◊ الظاهرة الاستشراقية	28
✓ شمولية الظاهرة الاستشراقية	30
✓ تعدد أهداف الظاهرة الاستشراقية	30
الفصل الثانـــي: **جهود المستشرقين الفرنسيين**	/
◊ الاستشراق الفرنسي	31
◊ المجلة الافريقية	32

◊ أهم المستشرقين الفرنسيين 35
◊ أهم الدراسات التي قام بها المستشرقون الفرنسيون 42
◊ محاولات دراسية لسانية و اثنولوجية حول أصول البربر 44
◊ الأغنية الجزائرية في القرن الثامن عشر 44
◊ ملاحظات حول الشعر المعاصر عند البدو الرحل الجزائريين 45
◊ يناير عند بني سنوس 45
◊ نظرة حول الشعر العامي لتلمسان 45
◊ الوضعية لمتكلمي البربرية في اقليم وهران 46
◊ ملاحظات حول التسميات المستعملة عند التوارق 46
الفصل الثالث : **نـــماذج من الدراسات اللهجية** /
◊ تعريف المجلة الافريقية 48
◊ ملاحظات حول الشعر المعاصر عند البدو الجزائريين 48
◊ ملاحظات حول الشعر المعاصر 57
✓ القول 57
✓ النم **le némm** 58
✓ القطاعة **la guethaâ** 59
الدراسات العربية في الجزائر (**1830**) 65
النصوص الأصلية للدراسة 79
الخاتمة 108

المراجع 111